دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	عمران المدينة المنوره فى عصر سلاطين المماليك 648 - 923 هـ = 1250 - 1217 م.
المصدر:	السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية العاشر: تاريخ وحضارة المدينة المنورة عبر العصور
الناشر:	الجمعية التاريخية السعودية
المؤلف الرئيسي:	زيدان، يسري احمد عبدالله
المجلد/العدد:	ج2, ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2007
مكان انعقاد المؤتمر:	المدينة المنورة
رقم المؤتمر:	العاشر
الهيئة المسؤولة:	الجمعية التاريخية السعودية
الشهر:	مايو
الصفحات:	2 - 58
رقم MD:	795301
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	المدينة المنوره، دولة المماليك، المسجد النبوى، الحكام المصريين، التاريخ الإسلامى
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/795301

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

"عمران المدينة المنورة في عصر سلاطين المماليك"

(٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٢١٧م)

د. يسري أحمد عبدالله الزيدان

أستاذ مشارك بقسم التاريخ

كلية التربية للبنات- بتبوك

تمهيد:

أولى سلاطين المماليك، وأمراؤهم، في عصرهم اهتماماً عظيماً بمدينة النبي ﷺ، التي توسعت ، وزيد في عمرانها زيادة ملحوظة في عصرهم.

ومن مظاهر الاهتمام بالمدينة الشريفة: الرعاية الكاملة لمسجد النبي ﷺ، والقيام بشأنه قياماً تاماً، تناول كل أوجه عمارته، وإنارته، وفرشه، والاهتمام بالحجرة الشريفة، ومن هذه المظاهر العناية التامة بمساجد المدينة الشريفة الأخرى، والتوسع في إنشاء المدارس والربط، واحتفار الآبار وتجديد العيون، وتوفير الماء اللازم لأهل المدينة المباركة، وكذلك تمهيد الطرق، والاهتمام بسورها وخندقها، وإقامة الحمامات لها.

ومن مظاهر هذا الاهتمام انتشار الأوقاف لإقامة كل المشروعات السابقة وامتد الاهتمام بالمدينة المنورة، فشمل المحافظة على الصحة العامة بإقامة بالبيمارستانات وتوفير احتياجاتها اللازمة لعلاج المرضي، فضلاً عن توفير الأجواء والظروف المناسبة لإقامة المشروعات الزراعية. وقد شهدت المدينة المنورة في عصر المماليك استقراراً وأماناً ورخاءً في أغلب فترات هذا العصر، وهو ما سوف يتضح من خلال هذا البحث.

أولاً: مظاهر الاهتمام بالمسجد النبوي الشريف:

شهد المسجد النبوي في عصر سلاطين المماليك عمراناً، متعدد الجوانب، حسن الصورة، أسهم فيه العديد من سلاطين المماليك، وفى ذلك يقول السمهودي، "ولم يزل ملوكها - مصر- يهتمون بعمارة هذا المسجد الشريف، ومن أعظمهم همة في ذلك، وأحبهم في سلوك هذه المسالك، سلطان زماننا الملك المالك لصفوة الممالك الأشرف أبو النصر قايتباي".[1]

---

(1) السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد ، (٩١١هـ / ١٥٠٥م) : **وفاء الوفاء**، ج٢، ص ص١٨٤- ١٨٥ وراجع ص٢٣٥.

وتضمن هذا العمران عدة أمور، بعضها متصل بإصلاح المسجد وتجديده، وبعضها مختص بتوسعته والزيادة فيه، وبعضها متعلق بإنارته وإضاءته، إلى غير ذلك من مظاهر عمارة المسجد النبوي والحفاظ على صورته الوضيئة.

١ - إصلاح المسجد النبوي وتجديده:

تعرض المسجد النبوي المبارك في سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م لحريق هائل[١] ابتدأ من زاوية الحرم الشريف الغربية من الشمال، وسبب الحريق اتصال نار يحملها أحد قوام المسجد الشريف ببعض آلات إحدى خزائن المسجد النبوي، ووصول هذه النار إلى أسقف المسجد بسرعة شديدة أدت إلى احتراق جميع سقف المسجد الشريف، ووقوع بعض أساطينه "أعمدته" وذوبان رصاصها، واحتراق سقف الحجرة المباركة، وتلف جميع ما احتوى عليه المسجد الشريف من المنبر النبوي[٢] والأبواب والخزائن والشبابيك والمقاصير والصناديق، وما اشتملت عليه من كتب

---

(١) تضمن كتاب "**وفاء الوفاء**، ج٢، ص ص١٥٠- ١٥٢"؛ للسمهودي عدة حكم لوقوع هذا الحريق منها: أن إمرة المدينة النبوية وقضاءها وخطبتها كانت في ذلك الوقت للشيعة، وأن هذا الحريق حدث بعد ظهور نار الحجاز التي أنذر بها النبي ﷺ، والتي ظهرت في السنة نفسها، وبقيت أياما، وأطفاها الله تعالى عند وصولها إلى حرمه، فحتى لا يظن أن حبس النار عن أهل المدينة ببركة الجوار موجب لحبسها عنهم في الآخرة، حدث ما حدث. ومنها الإيمان بقدرة الله وعظمته وقهره لكل شيء إلى غير ذلك من حكم دفعت القطب القسطلاني إلى تأليف كتاب "عروة التوثيق في النار والحريق" وعن نار الحجاز راجع : أبو شامة: **الذيل على الروضتين** ص١٩٤؛ والمقريزي: **السلوك**، ج١، قسم ٢، ص٣٩٨؛ والعيني: **عقد الجمان**، ج١، ص ص١٢٢- ١٣٠؛ والسمهودي: **وفاء الوفاء**، ج١، ص ص١١٣- ١٢٢؛ وابن العماد: **شذرات الذهب**، ج٧، ص٤٥٤؛ وتجدر الإشارة إلى أن الخطبة في المسجد النبوي عادت إلى أهل السنة سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م في أيام المنصور قلاوون، كما كان لأهل السنة إمام يصلي بهم الصلوات فقط، راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، دار الكتب العلمية، ص٢٨؛ والسمهودي: السابق، ج٣؛ ص٨ وتحدث عن عودة الخطابة والقضاء للسنة في التاريخ السابق.

(٢) ذكر القلقشندي في "**صبح الأعشي**" ج٤، ص٢٨٨، أن المنبر المحترق هو المنبر الذي صنعه معاوية بن أبي سفيان ﷺ للمسجد النبوي المبارك، وحقق السمهودي الأمر "**وفاء الوفاء**، ج٢، ص ص٨ - ٢٠" فذهب إلى وجود بقايا من المنبر النبوي الشريف إلى احتراق المسجد كانت موجودة ضمن منبر معاوية الذي كان بعضه كالغلاف لمنبر الرسول الكريم ﷺ، وتعهد الخلفاء العباسيون تجديد هذا المنبر، وكان الناس يعرفون أجزاء منبر النبي ﷺ.

وكسوة الحجرة، وكان عليها إحدى عشرة ستارة[(١)]. ووقع هذا الحريق ليلة الجمعة في أول شهر رمضان بعد صلاة التراويح. ولم يسلم من هذا الحريق سوى القبة التي أحدثها الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الكريم العثماني[(٢)].

وكتب بذلك إلى الخليفة العباسي الأخير بالعراق المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/ ١٢٤٢- ١٢٥٨م) فأرسل الآلات والصناع لعمارة المسجد النبوي، وابتدئ بالفعل في عمارته أول سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م فتم تسقيف الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط القبلي وإلى الحائط الشرقي إلى باب جبريل[(٣)] عليه السلام، وتم تسقيف الروضة الشريفة جميعها إلى المنبر الشريف.

لكن الخليفة المستعصم شغل بقتال التتار عن استكمال عمارة المسجد النبوي[(٤)] فنال شرف ذلك سلاطين المماليك بمصر حيث أرسلت الآلات والأخشاب منها في أثناء حكم الملك المنصور على ابن الملك المعز أيبك (٦٥٥- ٦٥٧هـ/ ١٢٥٧- ١٢٥٩م) ووصلت مثلها من اليمن أيضاً[(٥)]، وبدأت عمارة جديدة للمسجد

---

(١) راجع أبو شامة: **الذيل على الروضتين**، ص١٩٤؛ وابن الفوطي: **الحوادث الجامعة**، ص٢٦٦؛ والمقريزي: **السلوك**، ج١، قسم ٢، ص٣٩٨؛ والعيني: **عقد الجمان**، ج١، ص١٢٨؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص ص١٥٠- ١٥٢؛ وابن إياس: **بدائع الزهور**، ج١، قسم ١، ص٢٩١؛ وابن العماد: **شذرات الذهب**، ج٧، ص٤٥٥؛ وراجع ابن الشحنة: **روض المناظر**، ص ص٢٥٨- ٢٥٩.

(٢) السمهودي: **وفاء الوفاء**، ج٢، ص١٥٢؛ وراجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص١٠٦.

(٣) سمي هذا الباب بباب جبريل عليه السلام لأنه وقف عنده بعد غزوة الأحزاب، وأخبر الرسول ﷺ بضرورة قتال بنى قريظة. وقد يسمي بباب عثمان، لمقابلته لدار عثمان بن عفان ﷺ. السمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص ص٢١٤- ٢١٦.

(٤) راجع السمهودي: **وفاء والوفاء**، ج٢، ص ص١٥٢ و١٥٤؛ والقلقشندي: **صبح الأعشى**، ج٤، ص٢٨٨؛ وراجع ابن الفوطي: **الحوادث الجامعة**، ص٢٧٧ وقد بالغ في عمارة المستعصم للحرم النبوي.

(٥) أرسلها بها صاحب اليمن الملك المظفر يوسف بن منصور بن رسول، كما أرسل منبراً إلى المدينة نصب بها حتى سنة ٦٦٦ هـ، وبنو رسول خلفوا الأيوبيين في حكم اليمن لأكثر من قرنين من الزمان (٦٢٦- ٨٥٨هـ) وراجع القلقشندى: **صبح الأعشى**، ج٤، ص ٢٨٨؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص١٦؛ وراجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، دار الكتب العلمية، ج١، ص٣٣.

النبوي لم تتم هي الأخرى لعزل المنصور ولانشغال الملك المظفر قطز بملاقاة التتار في (عين جالوت) سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، وإن كان العمل ظل بالمسجد الشريف في السنة السابقة من باب السلام إلى باب الرحمة ومن باب جبريل إلى باب النساء المعروف بباب "ريطة" ابنة أبى العباس السفاح"[١].

ولكن العمارة الكاملة الشاملة للمسجد النبوي تحققت باهتمام السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (٦٥٨- ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠- ١٢٧٧م) الذي أرسل سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م الأمير علم الدين بالأموال وبعض لوازم العمارة[٢]، ثم بعث في سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م بحرا الأمير جمال الدين محسن الصالحي ومعه ثلاثة وخمسون صانعاً إضافة إلى العتالين والنشارين وغيرهم ، وأرسل معهم الأخشاب والحديد والرصاص والجمال "ثم صار يمدهم بما يحتاجون إليه من الآلات والنفقات" حتى تمت عمارة المسجد النبوي كلها[٣].

وأرسل الظاهر بيبرس منبراً للمسجد النبوي سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م ظل يخطب عليه إلى سنة سبع وتسعين وسبعمائة، ثم أزيل لتأثير الأرضة فيه بمنبر الظاهر

---

(١) السمهودي: السابق، ص ص١٥٤ و ١٥٥؛ وراجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، طبعة أسعد طرابزرنى، ج٣، ص٢١٧.

(٢) المقريزي: **السلوك**، ج١، قسم ٢، ص٤٤٥.

(٣) راجع ابن الظاهر: **الروض الزاهر**، ص ٨٩؛ والصفدي: **الوافي**، ج١٠، ص٣٤٠؛ والمقريزي: **السلوك**، ج١، قسم ٢، ص٥٠٢؛ والعينى: **عقد الجمان**، ج١، ص ٣٦٥؛ والسيوطي: **حسن المحاضرة**، ج١، ص٩٦؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص ١٥٥؛ وابن إياس: **بدائع الزهور**، ج١، قسم ١، ص٣٤٠؛ وراجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، طبعة دار الكتب العلمية، ج١، ص٢٢٣. وذهب السخاوي إلى حدوث هذه العمارة كلها سنة ٦٥٨ هـ وأظن أن الصحيح ما ذكره باقي المؤرخين كما ورد في المتن. ولأن السنة الماضية كانت سنة التمكين لبيبرس بعد استشهاد المظفر قطز، حيث اندلعت الثورات ضد بيبرس في الشام، وفى مصر على يد الشيعة، وكان بيبرس مشغولاً بهذه الثورات في بداية حكمه. وراجع **التحفة اللطيفة**، طبعة أسعد طرابزرني، ج٣، ص٤٤٩.

برقوق (٧٨٤- ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) سنة سبع وتسعين وسبعمائة للهجرة[(١)].

ولم يزل المسجد النبوي على تلك الحال إلى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون فجدد في ولايته الثانية (٦٩٨- ٧٠٨هـ/ ١٢٩٨- ١٣٠٨م) السقف الشرقي والسقف الغربي[(٢)] أي عما يمين صحن المسجد وشماله في سنتي (٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م و ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م. وزاد في ولايته الثالثة والأخيرة (٧٠٩- ٧٤١هـ/ ١٣٠٩- ١٣٤٠م) سنة ٧٢٩هـ /١٣٢٨م رواقين في المسقف القبلي "جهة القبلة" متصلين بمؤخره " فاتسع مسقفه بهما وعم نفعهما"[(٣)].

وحدث خلل في هذين الرواقين الجديدين في أيام حكم السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥- ٨٤١ هـ/ ١٤٢٢- ١٤٣٧م) فجددهما سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م من مال جزية قبرص التى فتحها سنة ٨٢٩ هـ/ ١٤٢٥م، وجدد أيضا شيئاً من السقف الشامي مما يلي المنارة السنجارية[(٤)]، وأمر بتسمير أبواب الدرابزين التي جعلت على الحجرة الشريفة[(٥)].

وفى أيام الملك الظاهر جقمق (٨٤٢- ٨٥٧ هـ/ ١٤٣٨- ١٤٥٣م) حدث خلل في سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقف المسجد، فجدد ذلك في سنة ٨٥٣هـ/

---

(١) راجع القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج٤، ص٢٨٨؛ والسيوطي: **حسن المحاضرة**، ج١، ص٩٥؛ والسخاوي: **التحفة اللطيفة**، طبعة دار الكتب العلمية، ج١، ص٣٣ و ص ص٢١٢- ٢١٣؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص ص١٦- ١٧، وذكرا أيضاً أن منبر الظاهر برقوق أزيل بمنبر المؤيد شيخ سنة ٨٢٢هـ/ ١٤٧٧م، ثم احترق هذا المنبر في الحريق الثاني سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م فأمر الأشرف قايتباي بعمل منبر ودكة للمؤذنين من الرخام. راجع السخاوي: السابق نفسه، ص٤٤٨، ج٢، ص٢٢٧.

(٢) السمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص١٥٥.

(٣) راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، دار الكتب العلمية، ج١، ص٢١٢، ص٧١٦؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص١٥٥ وص٢٠١.

(٤) تقع المنارة السنجارية في الجهة الشرقية الشامية من المسجد النبوي الشريف. وراجع السمهودي: السابق، ج٢، ص ص٩٩ و ١٥٦ و ٢٠٨.

(٥) السخاوي: السابق والصفحة نفسها؛ والسمهودي: السابق، والصفحة نفسها.

١٤٤٩م على يد الأمير التاجي[١].

وفي عهد السلطان الأشرف قاتيباي (٨٧٢- ٩٠١هـ/ ١٤٦٧- ١٤٩٥م) حدثت عمارة ضخمة للمسجد النبوي الشريف، بل للمدينة كلها حتى قيل له: "أما تترك لمن بعدك شيئاً يذكر به؟ !!"[٢].

وكانت البداية سنة ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤م وفيها بدئ في هدم عقود المسجد التي في رحبته من جهة المشرق، وسقف الرواق الذي كان عليها، ونقض بعض أساطين المسجد، وهدم جانب من سور المسجد مما يلي المشرق من جهة المنارة الشرقية المعروفة بالسنجارية، وكان في أصل جدارها انشقاق وكانت تضطرب عند الهدم بحيث خشي سقوطها، فعمرت وأصلحت هي والجدار والعقود وسقف الرواق والأساطين في السنة نفسها[٣].

وفي سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م أشرف الشمس شمس الدين بن الزمن (ت ٨٩٧هـ/١٤٩١م) على عمارة أخرى للحرم الشريف شملت الرواق الشرقي، وجانباً من رواق باب جبريل إلى باب النساء (باب ريطة)، وسقف الرواق الأوسط الذي يلي الرواق الذي عمر سنة ٨٧٩ هـ /١٤٧٤ م، وإصلاح المسقف الشامي وغيره، ودهان بعض السقف، وغير ذلك من عمارة للحجرة الشريفة تناولت هدم الجدار الشامي (الشمالي) والشرقي وجانباً من الجدار القبلي، وجانباً من الجدار الغربي، وأعيد بناء ذلك بمشاهدة ووصف دقيق ومشاركة للمؤرخ السمهودي[٤].

---

(١) راجع السخاوي: السابق نفسه، ج١، ص ص٢٦ و٢١٢ و ص٢٤٣؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص١٥٥.

(٢) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، أسعد طرابزرني، ج٣، ص٤١١ وراجع من ص٤١٠.

(٣) تحدث السمهودي بالتفصيل عن هذه العمارة في المصدر السابق، ج٢، ص ص١٥٥- ١٥٧ بينما أجملها السخاوي في المصدر السابق نفسه، ج٣، ص٤١٠.

(٤) راجع السمهودي: المصدر السابق، ج٢، ص ص١٥٦- ١٥٧ و ص ص١٦٤- ١٧٤ وفيها تفاصيل كثيرة دقيقة ممتعة للعمارة السابقة ومشاركة السمهودي برأيه فيها ومناقشته للمهندس المشرف على العمارة، ووصفه المستفيض لعمليات الهدم ورفع الأنقاض، وإعادة بناء الحجرة المطهرة، وحضوره لبعض بناء الحجرة الشريفة وتشرفه بالعمل فيه.

وقد ترجم السخاوي(١) لأحد العلماء المصريين اللامعين في الهندسة والحساب والميقات وهو أحمد بن عبدالله القاهري الأزهري (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) فذكر السخاوي أنه جاور بالمدينة سنتين لضبط بعض العمائر بها وبغيرها ولعل هذا العالم كان ممن أسهم في العمارة في السنوات السابقة.

وحدثت عمارة أخري كبيرة وعظيمة سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م ولمدة سنتين، وكانت آخر عمارة تمت في عصر سلاطين المماليك.

وسبب هذه العمارة الضخمة والعظيمة ما حدث للمسجد الشريف سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م من حريق جديد(٢)، سببه هذه المرة سقوط صاعقة في ليلة الثالث عشر من رمضان على منارته الشرقية اليمانية المعروفة بالرئيسية، صعقت رئيس المؤذنين شمس الدين محمد بن الخطيب الذي كان بها، وأحرقت سقف المسجد الشريف وحواصله، وخزائن كتبه، وأبوابه، ومعظم أساطينه، ومنبره، بينما سلمت الحجرة الشريفة والأساطين الملاصقة بجدار الحجرة الشريفة، وحيطانها، وإن كان قد احترق أخشاب قبتها الطاهرة، وكذلك سلمت القبة التي بصحن المسجد للمرة الثانية، وبعض جانبي المسجد الشريف(٣).

واستشهد في المسجد النبوي بضع عشر نفساً، منهم العلماء والعامة(٤). بينما

---

(١) السخاوي: **الضوء اللامع**، ج١، ص ص٣٧٦- ٣٧٧؛ **والتحفة اللطيفة**، ج١، ص١١٩.

(٢) راجعه لدي السمهودي: **وفاء الوفاء**، ج٢ ص ص١٧٥- ١٨١ وقد وصف هذا الأمر وصفاً دقيقاً. وكانت هذه النيران قد أحرقت ثلاثمائة مجلد للسمهودي كان قد تركها في خلوته بمؤخر المسجد، ومنها أصل كتابه "**وفاء الوفا**" وراجع السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٢٠؛ وابن الحمصي: **حوادث الزمان**، ج١، ص ص٢٦٥ و٢٧٠ –٢٧١؛ وعبدالعزيز ابن النجم: **بلوغ القرى**، ج١، ص ص١٧١- ١٧٣؛ وابن طولون: **مفاكهة الخلان**، ص ٤٥ و ص ص٤٦- ٤٧.

(٣) ذهب السمهودي (**وفاء الوفا**، ج٢، ص١٧٨) إلى أن في هذا الأمر عبرة وموعظة لأولى الأبصار، فهذا المحل الشريف تلوث بذنوب المذنبين، وتدنس بآثامهم، فحدث ما حدث للإنذار والزجر، وذكر (ص١٧٩) أن هذا الخبر لما وصل لرودس أظهر من بها من نصارى الفرح والبشر فأرسل الله عليهم في يومهم زلازل عظيمة هدمت دورهم وسور بلدهم وكنيستهم، ورأى السمهودي ذلك وقرأه في كتب وردت من الإسكندرية "بخط من يعتمد عليه".

(٤) راجع السمهودي: السابق، ص١٧٥؛ وراجع ابن طولون، السابق، ص٤٥؛ وراجع عبدالعزيز =

استشهد عدد آخر، وصف بالكثرة[١] كان يسكن رباط مراغة[٢]، فسقطت المئذنة على هذا الرباط، فمات معظم من كان يسكنه[٣].

وقد انفرد ابن طولون[٤] بخبر رفض أحد المعماريين المحبوسين بدمشق للإشراف على عمارة المسجد النبوي الشريف، وهو "خيربك حتيت" متعللاً بأن عمارته طويلة، وذلك حين طلب منه هذا العمل قبل بدء موسم الحج. ولم يذكر ابن طولون شيئاً عمن طلب إليه هذا الأمر، واكتفي بعد ذلك ببيان سوء طويته، وقبح مسلكه.

وقد حظي بالإشراف على هذا العمل الجليل الأمير سنقر الجمالي، والشمسي شمس الدين بن الزمن صاحب العمارة السابقة مباشرة، حيث أصدر السلطان قايتباي أوامره بتنظيف المسجد الشريف، وإرسال الأمير سنقر على رأس مائة صانع من البنائين والنجارين والنشارين والدهانين والحجارين والنحاتين والحدادين والمرخمين، وغيرهم، ومعهم كثير من الجمال والدواب، كما أرسل مبلغ عشرين ألف دينار، وعددا من الآلات والمؤن، والمهندسين، وخرج هؤلاء جميعاً بما معهم من مصر في موسم الحج ليؤدوا هذا العمل الكريم، عمارة المسجد النبوي الشريف[٥].

وأتبع قايتباي ذلك بإرسال الشمسي شمس الدين بن الزمن في شهر ربيع الأول من السنة نفسها (٨٨٧هـ/١٤٨٢م) وصحبته أكثر من مائتي جمل، ومائة

=بن النجم: **بلوغ القري**، ج١، ص١٧٣؛ وراجع بعض أسماء الشهداء لدى السخاوي: **التحفة**، ج٣، ص ص٥١ و ٥٠٨.

(١) عبدالعزيز بن النجم: **بلوغ القري**، ج١، ص١٧٣.

(٢) ينسب هذا الرباط إلى منشئه القاضي محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم المراغي (ت ٥٩٠ هـ) وكان شيخاً كثير المال، وأنشا هذا الرباط بجانب مسجد رسول الله ﷺ. راجع الفاسي: **العقد الثمين**، ج٢، ص ص٦٦- ٦٧.

(٣) راجع عبدالعزيز بن النجم، السابق والصفحة نفسها.

(٤) ابن طولون: **مفاكهة الخلان**، ص٤٧.

(٥) راجع السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٣٠؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص١٧٩.

حمار، وأزيد من ثلاثمائة صانع من أصحاب الصناعة والعمارة السابقة للمسجد الشريف، وغيرهم "من الحمالين والمبيضين والسباكين والجباسين وصرفوا لهم شيئاً من الأجرة قبل سفرهم، وقد صارت أحمال المؤن متواصلة، قل أن تنقطع برا وبحراً، واستقبلوا أمر العمارة بجد واجتهاد"[١].

وكان المؤرخ العظيم السخاوي شاهداً على بعض عمارة المسجد النبوي الشريف في هذه المرة، بينما لم ينل هذا الشرف المؤرخ الكبير السمهودي الذي شهد عمارة المسجد النبوي الشريف قبل هذه المرة مباشرة، وكان قد توجه إلى مصر لزيارة والدته وأهله بعد غيبة عنها استمرت ست عشرة سنة وجاء سفره إلى مصر قبل الشروع في هذه العمارة، فلم يحضر منها شيئاً كما ذكر هو بنفسه[٢].

وقد أثنى السخاوي ثناءً عظيماً على كفاءة وأدب وهمة الشمسي بن الزمن، المشرف على العمارة للمسجد الشريف، ورأى السخاوي بنفسه هذه الصفات الجليلة، وتلك السجايا الكريمة[٣]. وكما كان للسمهوري مناقشات ومحاورات مع المهندسين في عمارة المسجد النبوي الشريف سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م فإن السخاوي كان له رأيه واستفساراته في هذه العمارة الجديدة، مما يبين عاطفة هذين العلمين الجياشة، وحرصهما الشديد على حسن العمل بمسجد النبي ﷺ، وعظيم اهتمامهما بالمسجد الشريف، وعميق حبهما له، وحسن ولائهما لهذا الحرم الطاهر.

وبدئ في عمارة المئذنة الرئيسة بعد هدمها إلى أساسها، فتمت عمارتها مع ميلان يسير، فسأل المؤرخ السخاوي المهندس عن هذا الميل اليسير، فأخبره أنه غير مؤثر[٤].

---

(١) السمهودي: السابق، ص١٧٩.

(٢) السمهودي: السابق، ص١٨٠.

(٣) السخاوي: السابق، ج٣، ص٩٣٠.

(٤) السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٣١؛ وراجع السمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص١٧٩.

ثم بنوا سور المسجد الشريف من ركن المنارة التي بباب السلام إلى آخر جدار القبلة، وما يليه من المشرق إلى باب جبريل، وما يلي المنارة من المغرب أيضاً إلى باب الرحمة، وزادوا في عرض السور زيادة يسيرة، ووسعوا المحراب العثماني وجعلوا عليه قبة على رؤوس الأساطين، وسقفوا مقدم المسجد، وجعلوا على ما يحاذي الحجرة الشريفة وما حولها قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد، بدلاً من القبة الزرقاء التي كانت قبل الحريق، وأقاموا قبتين أمام باب السلام من داخله، وخفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصلي الشريف، وأقاموا محراباً مزخرفاً بالرخام، وأعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها، وترخيم الجدار القبلي، وعملوا المنبر ودكة المؤذنين من رخام، واتخذوا فيما أعادوه من الجدار الشرقي خزائن للكتب وطاقات متسعة مستديرة تكثيراً للضوء، وانشأوا مدرسة ورباطا للسلطان الأشرف قايتباي، وتم إرسال المصاحف والكتب من مصر للمسجد النبوي[(١)].

وكانت هذه العمارة قد كملت كلها في أواخر شهر رمضان سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م إلا بعض البياض اليسير، والترخيم القليل[(٢)]. وحدث الدهان لسقف المسجد الشريف في السنة التالية مباشرة، وكمل بذلك الحرم الشريف المدني كله ولم يبق منه شيء أصلاً، وكذا "لم يبق من المدرسة السلطانية غير الترخيم وبعض تتمات من أعلاها، وسكن بعض خلاويها"[(٣)].

---

(١) راجع تفاصيل هذه العمارة لدي السمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص ص١٧٩- ١٨٣، وقد عاد السمهودي من مصر إلى المدينة المنورة فرأى هذه العمارة كلها ووصفها وصفاً دقيقاً؛ وراجع بعضها لدي السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٤١؛ **والتحفة اللطيفة**، ج٣، ص٤١٠؛ وعبدالعزيز ابن النجم: السابق، ص ٢٠٤ و ص ٢١٥، وابن طولون: السابق، ص ص٥٢ و ٥٤؛ وراجع ابن الحمصي: **حوادث الزمان**، ج١، ص ص٢٨٩- ٢٩٠؛ والغزي: **الكواكب السائرة**، ج١، ص٣٠٠؛ وابن العماد: **شذرات الذهب**، ج١٠، ص ١٣؛ وابن إياس: **بدائع الزهور**، ج٣، ص ١٩٦ و ص ٣٢٩.

(٢) راجع السخاوي: **وجيز الكلام**، ج١، ص٩٤١؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص١٨٣؛ وابن طولون: **مفاكهة الخلان**، ص٥٢.

(٣) السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٤٨؛ وراجع السمهودي: السابق، ج٢، ص١٨٣.

وقد أخبر بعض المباشرين لهذه العمارة المؤرخ السمهودي أنها تكلفت أكثر من مائة وعشرين ألف دينار[١].

ومع هذا كله شوهد في القبة العظمى التي عملت على الحجرة الشريفة نحو عشرة شقوق نافذة إن أهملت ضرّت، وسبب ذلك تقصير المهندس، فطلب السلطان قايتباى إلى (البدرى أبى البقاء) النظر في أمر القبة[٢] التي كلما رممت تشققت، وذلك لاستعمال مؤن غير صالحة في عمارتها، كذلك خيف من هذه المنارة الرئيسية المائلة، وكان سبب ميلها عدم حفر أساسها حفرا عميقا، فعين السلطان قايتباي الشجاع شاهين الجمالي للنظر في هذا الأمر سنة ٨٩١هـ، فاستشار أهل الخبرة، فأشاروا بهدم أعالي القبة، وهدم المنارة، وحفر أساسها من جديد حتى بلغ الماء، وأُحْكِمَ بناؤها (بحيث لم ير قبلها بالمدينة الشريفة مثلها).

أما القبة فشرع في هدمها بحرص حتى لا يقع شيء منها في الحجرة الشريفة وشرع في بنائها بحيث لم يتخذ المسجد طريقاً للعمال عند بنائها، بل كان العمال يمشون على "سقالات" إلى سطح المسجد من الناحية الشرقية، حتى إن الناظر لا يشعر بوجود عمارة بالمسجد، وجاءت القبة حسنة متقنة "حتى إنه استصحب في هذه العمارة الجبس من مصر المحروسة واستعمله في البناء، وحرص على إتقان الآجر، وزاد العمال فيه على عادتهم"[٣].

وهكذا تمت هذه العمارة الضخمة للمسجد النبوي الشريف، وآثر الله بها الأشرف قايتباي الذي استحق ثناء السخاوي[٤] والسمهودي[٥] المعاصرين

---

(١) السمهودي: السابق، ج٢، ص١٨٣.

(٢) راجع السخاوي: السابق، ج٣، ص٩٤٨.

(٣) السمهودي: السابق، ج٢، ص١٨٤؛ وراجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص ص٤٣٨- ٤٣٩؛ للوقوف على هذه العمارة، وللوقوف على عمارة أخري يسيرة سنة ٨٩٨ هـ /١٤٩٢ م.

(٤) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج٣، ص٤١١.

(٥) السمهودي: السابق، ج٢، ص ص١٨٤- ١٨٥ وراجع ص ص٢٣٤- ٢٣٥.

للأحداث، والشاهدين عليها، والمتابعين لها.

وتعد هذه العمارة الواسعة الضخمة للمسجد النبوي عمارة متينة في غاية الحسن والإحكام، إذ لم تحدث عمارة أخري للمسجد الشريف بعد ذلك في عهد سلاطين المماليك، كما أن عمارة المماليك استمرت حتى عهد السلطان العثماني عبدالمجيد بن محمود الثاني (١٢٥٥- ١٢٧٧هـ) حيث حدثت عمارة واسعة للمسجد بداية من سنة ١٢٦٥هـ ولمدة اثنتي عشرة سنة، ومعنى هذا أن عمارة المسجد الشريف زمن الأشرف قايتباي استمرت حوالي أربع وسبعين وثلاثمائة سنة على حالها دون أي ترميم لها، مما يثبت قوتها ومتانتها وإتقانها.

٢ - الإضافات والزيادات بالمسجد النبوي:

حدثت بعض الإضافات والزيادات للمسجد النبوي في عصر سلاطين المماليك منها: المقصورة التي حول الحجرة الشريفة، فهي من مستحدثات الظاهر بيبرس الذي حج سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م ونزل المدينة المشرفة فرأى الناس - كما يذكر السيوطي- يلتصقون بالقبر النبوي الشريف، فأراد أن يجعل على الحجرة الشريفة درابزينا من خشب، فقاس ما حول الحجرة الشريفة بيده، وقدره بحبال وحملها معه إلى مصر، وأمر بصنع درابزين بقدر هذه الحبال، وأرسله في سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م فأدير عليها، وعمل له ثلاثة أبواب: قبلي وشرقي وغربي، ونصب بين الأساطين التي تلي الحجرة الشريفة إلا من ناحية الشام، فإنه زيد فيه إلى متهجد النبي ﷺ، وعرف هذا الدرابزين بالمقصورة[1].

وكان ارتفاع هذه المقصورة أو الدرابزين أول الأمر نحو القامتين فلما كان في سنة ٦٩٤هـ /١٢٩٤م زاد عليه الملك العادل زين الدين كتبغا (٦٩٤-

---

(١) راجع الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص٣٤٠؛ والسخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٢٢٣؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص ص١٥٩ - ١٦٠؛ والسيوطي: **حسن المحاضرة**، ج١، ص ٩٦؛ وراجع السمهودي: السابق نفسه، ص ص١٦١ - ١٦٣؛ للوقوف على آراء العلماء المتصلة بهذه المقصورة.

٦٩٦هـ/١٢٩٤- ١٢٩٦م) شباكاً دائراً عليه، ورفعه حتى وصله لسقف المسجد[١].

وزيد لهذه المقصورة باب رابع عند زيادة الرواقين سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م وهو من جهة الشمال فلا رحبه المسجد[٢].

كما كانت هذه المقصورة تجدد عند حدوث التجديدات السابقة للحرم النبوي وصارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة، وأبوابها بأبواب الحجرة، وما يعلق بسقفها بقناديل الحجرة[٣]. وحدث في أيام حكم الأشرف برسباي (٨٢٥- ٨٤١ هـ/ ١٤٢٢- ١٤٣٧م) سنة ٨٣٠ هـ/ ١٤٢٦م تسمير لأبواب الدرابزين، فصار الناس يزورون من وراء الدرابزين من غير دخول أحد إلى الحجرة الشريفة، لزيادة حرمة الحجرة الكريمة، ولتنزيه القبر الشريف عن الملامسة بالأيدي[٤].

وهكذا حافظ هذا الدرابزين على حرمة الحجرة الشريفة، وعلى عقيدة الأمة الإسلامية التي فسدت عند بعض الجهلة ممن كانوا يلصقون ظهورهم بجدار القبر الشريف طلبا للبركة ، وطمعاً في الخير[٥]، وإن كان قد أخذ على الظاهر بيبرس إنشاؤه لهذا الدرابزين لأنه استقطع جزءاً من الروضة الشريفة مما يلي بيت النبي ﷺ مع ما ثبت من فضلها وفضل الصلاة فيها[٦].

ومن الإضافات في عصر المماليك أيضاً: القبة التي بنيت على الحجرة

---

(١) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج٣، ص ٤٢٧؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص١٦٠.

(٢) السمهودي: السابق، ج٢، ص١٦٠.

(٣) راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص ص١٦٠ و ١٦١.

(٤) السمهودي: السابق، ج٢، ص١٦٣؛ وراجع اهتماماً آخر بالمقصورة السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٣٨؛ وراجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص١٤٣.

(٥) راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص١٦٣؛ وراجع السيوطي: **حسن المحاضرة**، ج١، ص٩٦.

(٦) راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص ص١٦١- ١٦٣؛ وراجع السخاوي: السابق، ج٣، ص٢٧٩.

الشريفة سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م زمن السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨- ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩- ١٢٩٣م) ولم يكن قبل ذلك عليها قبة ولا بناء مرتفع، وإنما كان حول الحجرة الشريفة فوق سطح المسجد حظير (سور قصير) مبني بالآجر، ارتفاعه مقدار نصف قامة، بحيث يتميز سطحها عن سطح المسجد، فعملت هذه القبة من أخشاب، وعلى الألواح الخشبية ألواح من الرصاص، وفيها طاقة إذا أبصر الشخص منها رأى سقف المسجد[(١)].

وقد جددت هذه القبة في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٧٥٢- ٧٥٥هـ/ ١٣٥١- ١٣٥٤م) حين اختلت ألواح الرصاص عن وضعها، فخشوا من كثرة الأمطار فجددت[(٢)]. ثم جددت مرة أخرى سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م في سلطنة السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر بن قلاوون (٧٦٤- ٧٧٨هـ/ ١٣٦٢- ١٣٧٦م) وأحكم بناؤها "وجددت في أيامه سنة سبع وستين وسبعمائة للمسجد شرفات"[(٣)].

ولما ظهر في بعض أخشابها خلل سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م عضدت على يد متولي العمارة الشمس بن الزمن بأخشاب سمرت معها، وقلع ما حولها من ألواح الرصاص التي أعلى السطح بينها وبين الدرابزين، ورفعت الأخشاب التي تحت ذلك، ووضع مكانها أخشاب ورصاص جديدان، وجدد الدرابزين المحيط بها أيضاً[(٤)].

وأخيراً جددت هذه القبة سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م أثناء عمارة المسجد الشريف في تلك الفترة، فأصبحت في غاية الحسن والإحكام[(٥)]. وقد بني مكانها قبة

---

(١) راجع الصفدي: **الوافي**، ج٧، ص٧٦؛ والمقريزي: **المقفى**، ج١، ص ص٤٨٨- ٤٨٩؛ والسخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص١١٥ و ج٣، ص٤١٨؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص ص١٥٧- ١٥٨.

(٢) راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٢٨٧؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص ص١٥٨- ١٥٩.

(٣) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص ٤٤٣؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص١٥٨.

(٤) راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص ص١٥٨- ١٥٩.

(٥) راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص١٥٩.

مشرفة جديدة هي القبة الخضراء التي بنيت في عهد السلطان العثماني محمود الثاني سنة ١٢٣٣هـ.

ومن إضافات سلاطين المماليك أيضاً للمسجد النبوي الشريف: بناء منارة باب السلام سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م في أثناء حكم السلطان الناصر محمد ابن قلاوون[١].

(٦٩٨- ٧٠٨هـ/ ١٢٩٨- ١٣٠٨م) الذي أمر بإنشائها لتكون المنارة الرابعة للمسجد الشريف، فلقد كان المسجد النبوي حتى سلطنة الناصر محمد ثلاث منارات فقط[٢] ثم أنشئت في السنة السابقة نفسها المنارة الرابعة للمسجد عند باب السلام، وقد حفر أساسها عميقاً حتى وصل إلى الماء، وبناها: الشيخ إبراهيم البناء والشيخ على الفراش الحجار (ت ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) وكانا مشهورين بالإتقان في العمل وإحكام الصنعة، حتى أن السخاوي قال عن الأخير منهما: "لم أدرك في الفراشين مثله"[٣].

وقد ذكر المقريزي[٤] أن رئيس المؤذنين محمد بن نصر الله بن يوسف (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) بالمسجد النبوي توفي عند فراغه من أذان الصبح "بالمئذنة الجديدة " من الحرم النبوي من غير مرض ولا عرض.

---

(١) تولى الناصر محمد بن قلاوون ثلاث مرات: الأولى من سنة (٦٩٣- ٦٩٤هـ/ ١٢٩٣- ١٢٩٤م) والثانية من سنة (٦٩٥- ٧٠٨هـ/ ١٢٩٨- ١٣٠٨م) والثالثة والأخيرة كانت سنة (٧٠٩هـ- ٧٤١ هـ/١٣٠٩- ١٣٤٠م) وواضح أن هذه العمارة للمنارة تمت في الولاية الثانية.

(٢) هي المنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالرئيسية لاختصاص رئيس المؤذنين بها، والمنارة الشرقية الشامية (الشمالية) المعروفة بالسنجارية، والمنارة الغربية الشامية. وعن هذه المنارات وطولها وما حدث لها من تغيير. راجع السمهودي: السابق، ج٢ ص ٩٩.

(٣) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج٣، ص٢٧٧، وراجع من ص٢٦٧ و ص٤٦٩ وراجع، ج١، ص٢٧؛ وراجع السمهودي: السابق، ج٢، ص ص١٠٠- ١٠١.

(٤) المقريزي: **المقفي**، ج٧، ص٣٣٥. وتجدر الإشارة هنا إلى وجود مئذنة خامسة بنيت للمدرسة التي بناها الأشرف قايتباي ملاصقة للحرم النبوي الشريف سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م. راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ط١، ص٢٧.

ومن إضافات سلاطين المماليك أيضاً للمسجد النبوي الشريف: الرواقان اللذان أضافهما السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م إلى المسجد النبوي في المسقف القبلي، فاتصلا بمؤخرة المسجد "فاتسع مسقفه بهما وعم نفعهما"[١]. وقد سبق الحديث عن تجديد هذين الرواقين سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م في أثناء حكم الأشرف برسباي[٢].

وبعد... فما تقدم هو أبرز الإضافات والزيادات التي تمت على أيدي سلاطين المماليك، ويتبين لنا أنها قليلة قياساً على أعمالهم السابقة التي تناولت تجديدات الحرم النبوي الشريف، ولكنها إضافات مهمة مطلوبة، تسهم مع العمارة السابقة للحرم الشريف في عمران المسجد، والاهتمام به، وصولاً إلى أعلى درجات الكمال، والجودة، والجمال.

٣ - كسوة الحجرة الشريفة:

تعد كسوة الحجرة الشريفة من الأعمال المهمة التي تظهر تعظيم المسلمين للنبي ﷺ، وتقديرهم لقدرة ﷺ.

وبدئ في كسوة الحجرة الشريفة منذ العباسيين الأوائل[٣]، حيث ورد القيام بذلك في خلافة هارون الرشيد (١٧٠- ١٩٣هـ/ ٧٨٧- ٨٠٨م) ولم يزل الخلفاء العباسيون يتولون القيام بكسوة الحجرة الشريفة، والمنبر إلى أن سقطت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م على أيدي التتار "فتولى ملوك الديار المصرية ذلك كما تولوا كسوة الكعبة"[٤].

---

(١) راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص١٥٥ وراجع ص١٦٠؛ وراجع السخاوي: السابق، ج١، ص٢١٢ وج٣، ص٧١٦.

(٢) راجع المصدرين السابقين والصفحات نفسها، وعن أروقة الحرم النبوي راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص٢٠١.

(٣) راجع السمهودي: السابق ج٢، ص ص١٣٨ و ١٣٩.

(٤) القلقشندي : **صبح الأعشى**، ج٤، ص٣٠٤؛ وراجع المقريزي: **السلوك**، ج١، قسم ٣، ص٧٣٧.

وأول من كساها من سلاطين المماليك الظاهر بيبرس الذي اهتم سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م بكسوة الضريح النبوي الشريف وأرسل تلك الكسوة في شهر رمضان مع الطواشي جمال الدين الصالحي، وأرسل معه كذلك البخور والزيت والطيب[١]. وكانت هذه الكسوة مصنوعة من الديباج[٢].

واستمر الملوك والسلاطين يكسون الحجرة الشريفة إلى أن قام السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر قلاوون (٧٤٣- ٧٤٦هـ/ ١٣٤٢- ١٣٤٥م) في سنة ٧٤٣هـ بشراء قرية من بيت مال المسلمين بالقليوبية من ضواحي القاهرة هي قرية "بيسوس"[٣] ووقف ثلثيها على كسوة الكعبة، والثلث الأخير لكسوة الحجرة الشريفة والمنبر[٤].

وكانت كسوة الحجرة الشريفة تتم كل سنة، حيث يبعث بها من مصر[٥]، مع كسوة الكعبة المطهرة، ونصت المصادر على كسوتين أرسل بهما بيبرس[٦].

ويؤكد ذلك ما ذكره السخاوي من استمرار الوقف على كسوة الحجرة حتى سلطنة المؤيد شيخ (٨١٥- ٨٢٤هـ/ ١٤١٢- ١٤٢١م) فلما ضعف الوقف، اقتصر على إرسال كسوة الحجرة في كل خمس سنين مرة، ثم أصبحت تكسى في كل عشر سنين مرة، ولكن كلما ولى ملك بمصر اعتنى بإرسالها[٧].

---

(١) المقريزي: **السلوك**، ج١، قسم ٢، ص٥١٢؛ وراجع العيني: **عقد الجمان**، ج١، ص٣٧٦.

(٢) ابن شداد: **تاريخ الملك الظاهر**، ص٣٠٠.

(٣) تعرف اليوم بقرية بسوس، وللباحث قرابة بهذه القرية.

(٤) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٤ وراجع ص ١٨٤؛ **وجيز الكلام**، ج١، ص١٠؛ وراجع السمهودي: السابق، ج٢، ص١٤٠.

(٥) راجع المقريزي: **السلوك**، ج١، قسم ٣ ص٧٣٧.

(٦) راجع المقريزي: **السلوك**، ج١، قسم ٢، ص٥٨٠ وقارن ذلك بـ ص ٥١٢ الجزء نفسه.

(٧) راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص ٢٠، و ص ٣٤ و ١٨٤؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص١٤٠؛ وراجع القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج٤، ص٣٠٣.

وذكر القلقشندي أن كسوة الحجرة الشريفة لا تجدد كل سنة لأنها مصونة من الشمس بخلاف كسوة الكعبة المعرضة للشمس، فكلما بليت كسوة الحجرة الشريفة جددت، وأشار إلى أنها في أيامه مكسوة بالحرير الأسود وعليه طراز مرقوم بحرير أبيض، وهى من كسوة الظاهر برقوق[١].

وفيما يتصل أيضاً بالحجرة الشريفة فإن السلطان الصالح إسماعيل قام بعمل آخر يتصل بها، وهو وقف ثلثي إحدى قرى القليوبية أيضاً وهى قرية "سندبيس" على ستة عشر خادماً لخدمة الضريح النبوي الشريف، فبلغ عدة خدام الضريح الشريف أربعين خادماً[٢]، وذلك في سنة وقف ثلث "بيسوس" على كسوة الحجرة الشريفة، ثم أوقف عليهما الناصر محمد بن قلاوون وقفاً آخر[٣].

٤ - إضاءة المسجد النبوي:

حرص سلاطين المماليك على الاهتمام بإضاءة وإنارة المسجد النبوي الشريف، وأوقفوا على ذلك الأوقاف بمصر بصفة خاصة[٤]. وكانت القناديل تجهز نهاراً وتسرج مع المغرب، وتطفئ مع الصباح[٥]. وقد بلغ عدد القناديل في أيام المؤرخ السمهودي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) مائتي قنديل و ستة وخمسين قنديلاً، تسرج في كل ليلة، ونحو المائة قنديل تسرج في بعض الأوقات والمناسبات الدينية، إضافة إلى بعض الفوانيس التي يطاف بها بعد صلاة العشاء لإخراج الناس من

---

(١) القلقشندي: السابق، ج٤، ص٣٠٤.

(٢) المقريزي: **السلوك**، ج٢، قسم ٣، ص٦٣٣.

(٣) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٥، وراجع هناك مهام ووظائف وأعمال هؤلاء الخدام. ص ص٣٤- ٣٦، وتجب الإشارة هنا إلى وقوع خلط بين الوقف على الحجرة الشريفة، والوقف على خدمها، فظن بعض المؤرخين أنه واحد، والصحيح كما ذكر المقريزي أن وقف "سندبيس" كان على خدم الحجرة، ويؤكد صحة ذلك اختلاف القرية الموقوفة على الحجرة عن الموقوفة على الخدم؛ راجع هذا الخلط لدي السخاوي: **التحفة**، ج١، ص١٨٤؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص١٤٠.

(٤) السمهودي: السابق، ج٢، ص٢٠١.

(٥) راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٤.

المسجد الشريف عند غلق أبوابه[1].

وكان سلاطين المماليك حريصين على إهداء قناديل الذهب والفضة المنقوشة وغير المنقوشة إلى المسجد النبوي الشريف بصفة عامة، والى ما حول الحجرة الشريفة بصفة خاصة[2]، واستمر هذا الأمر إلى عصر المؤرخ السمهودي الذي أشار إلى إهداء الملوك وغيرهم إلى الحجرة الشريفة بصفة خاصة قناديل الذهب والفضة[3]. وذكر أن غالب ما يهدى للحرم سنوياً من قناديل يزيد على العشرين قنديلاً، ولم يقف أمر العناية بإنارة المسجد النبوي عند السلاطين والأمراء فحسب بل أسهم أفراد الأمة الإسلامية في هذا الأمر بالنذر. ولدينا خبر عن وفاء أم محمد بن محمد بن عبدالرحمن القاهري (ولد ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م) بنذرها للمسجد النبوي، وهو قنديل من فضة إن رزقها الله بذكر[4].

وهذا يعطينا صورة عن جانب من جوانب الاهتمام بإضاءة المسجد النبوي المبارك، حيث نذر عدد من المسلمين إضاءة المسجد الشريف بالقناديل التي كثرت ظاهرة، مما أدى إلى رفع بعضها ووضعه بالحاصل[5]، الذي في وسط المسجد[6].

وقد زادت قناديل الحجرة الشريفة سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م عن ثمانية عشر

---

(١) راجع السمهودي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٩.

(٢) تعرضت هذه القناديل للسرقة من قبل بعض الأشراف الشيعة الاثني عشرية في كثير من المرات لقيمة هذه القناديل، وراجع على سبيل المثال: المقريزي: **السلوك**، ج٢، قسم ٣، ص٨١٦ و ج٤، قسم ١، ص٧٥ و ص ص١٢٩- ١٣٠، و ج٤، قسم ٢، ص٧٢٧؛ وراجع، **المقفي**، ج٢، ص ص١٣- ١٤؛ وابن حجر: **إنباء الغمر**، بيروت، ج٦، ص ص١٠٤ و ١٧٩ و ١٨٠ و ج٨، ص١٠٧؛ وعبدالعزيز ابن النجم، **بلوغ القري**، ج٢، ص ص٩١٩ و ٩٣٨؛ والسخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص ص٢١٢ و ص ٢٤٧ و ٢٦٧و ٣٣١ و ص٣٥٠ و ج٣، ص ص١٧٦ و ٤٥١؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص ص١٤١- ١٤٥؛ وابن العماد: **شذرات الذهب**، ج٩، ص٢٧٢.

(٣) السمهودي: السابق، ج٢، ص ١٤١ وراجع ص١٤٤.

(٤) زين الدين الحلبي: **القبس الحاوي**، ج١، ص٣٢١.

(٥) عن حواصل وخزائن المسجد النبوي راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص ص٢٠٨- ٢٠٩.

(٦) السمهودي: المصدر السابق، ج٢، ص١٤١.

قنديلاً من الذهب، إضافة إلى قناديل الفضة والنحاس[١].

وكان زيت القناديل يحمل من مصر والشام، وبلغ في أيام المؤرخ السمهودي أكثر من مائة قنطار من الزيت[٢]. وقد أثني المؤرخ ابن شداد[٣] على اهتمام الظاهر بيبرس بإرسال الزيت والشمع إلى الحرمين الشريفين بمكة والمدينة.

وهكذا اعتني بإنارة وإضاءة الحرم النبوي الشريف عناية فائقة، وبذلت الأموال الطائله لتحقيق هذا الهدف الذي شارك فيه الرعية أيضا، إلى جانب السلاطين والأمراء، وكبار رجال الدولة المملوكية.

٥ - إنشاء المواضئ عند المسجد النبوي الشريف:

أشارت المصادر التاريخية إلى وجود بعض المواضئ عند أبواب المسجد النبوي الشريف، ويأتي على رأسها ميضأة الملك المنصور قلاوون عند باب السلام، وهي ميضأة وصفت بالهائلة[٤] أمر الملك المنصور قلاوون ببنائها للوضوء عند باب السلام سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م فجاءت في غاية الاتساع والانتفاع[٥]، وتولى بناءها الأمير الصالح علاء الدين المعروف بالأقمر، وأقام هذه الدار للوضوء متسعة الفناء، (تستدير بها البيوت، وأجرى إليها الماء)[٦] وهناك مواضئ أخري كانت موجودة عند الحائط الشامي[٧]، وفي رباط الأشرف قايتباي وهي الميضأة الثالثة

---

(١) راجع عن ذلك بالتفصيل السمهودي: المصدر السابق، ج٢، ص ص١٤٣- ١٤٥، وراجع ص ١٤٥- ١٥٠ للوقوف على جواز تعليق قنديل الذهب والفضة بالمسجد النبوي المبارك، إكرامًا وتعظيماً للمسجد النبوي الشريف، وإن كان السمهودي يرى تجنب ذلك.

(٢) السمهودي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٠١.

(٣) ابن شداد: **تاريخ الملك الظاهر**، ص٣٠٠.

(٤) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج٣، ص٤١٨.

(٥) السخاوي : المصدر السابق، ج١، ص٣٧؛ وراجع السمهودي : السابق ، ج٢، ص ص٢٢٥ و٢٣٧ و ج٢ ، ص٢٤٧.

(٦) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص١٣٩؛ ويذكر هنا أن الشمس الجبرتي (ت ٧٦٥ هـ) أحد رؤساء المدينة كان مشرفاً على مواضيء المنصور قلاوون. السخاوي: السابق، ج٣، ص٦٤٨.

(٧) راجع السخاوى: **التحفة اللطيفة**، ج١ ، ص٣٧؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢ ، ص٢٠٧. وهذه=

التي كانت تستخدم في الوضوء في عهد المماليك[١] وبذلك تكون هناك ميضأتان أقيمتا للحرم النبوي الشريف في عهد المماليك، وقامتا بدور مهم في الوضوء للصلاة في عهد سلاطين المماليك.

ثانياً: عمارة المساجد الأخرى في المدينة:

حظيت بقية مساجد المدينة النبوية الشريفة الأخرى بمزيد من عناية واهتمام سلاطين المماليك، فجددت ورممت، وأضيف إلى بعضها بعض الإضافات.

وكان مسجد قباء قد جدد لأول مرة في عصر المماليك سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م وقد كتب تاريخ هذا التجديد على محراب الدكة المرتفعة عن أرض المسجد بالرواق الذي يلي الرحبة[٢].

وإذا كانت المصادر لم تشر إلى صاحب هذا التجديد، إلا أنه يمكن أن يكون للظاهر بيبرس دور في هذه العمارة لمسجد قباء، وأن تكون هذه العمارة بعد عمارة المسجد النبوي المبارك قبيل هذه العمارة مباشرة، وربما رأى الظاهر بيبرس الذي حج وزار المدينة النبوية المباركة سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م ما استدعى هذا التجديد لمسجد قباء.

وقد حدث تجديد آخر للمسجد في أيام الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م وبالمسجد - كما يذكر السمهودي- منقوش أيضاً ما يقتضي هذا التجديد بأمر الناصر محمد ابن قلاوون [٣].

وقد تم تجديد سقف المسجد في أيام الأشرف برسباي (٨٢٥- ٨٤١ هـ/

=الميضأة أقامتها أم الخليفة العباسي الناصر لدين الله، وحفرت لها بئراً، وفتحت لها باباً إلى المسجد في الحائط الذي يلي الشام؛ السمهودي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٦.

(١) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٣٧، وأشار إلى ميضأة رابعة أخرى كانت معطلة في عصره وتقع شرقي المسجد النبوي الشريف.

(٢) راجع السمهودي: المصدر السابق، ج٣، ص ص٢٣ و ٢٤.

(٣) راجع السمهودي: المصدر السابق، ج٣، ص٢٤.

١٤٢٢- ١٤٣٧م) سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م على يد أحد مشايخ الخدام وهو ابن قاسم المحلى[١].

وعندما سقطت منارة المسجد سنة ٨٧٧هـ /١٤٧٢م جددها الشمسي ابن الزمن سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م في أثناء عمارته للمسجد النبوي، وهدمت المئذنة إلى الأساس كما هدمت الأسطوانة التي كانت لاصقة بها، كما هدم متولي العمارة ما يلي المنارة من سور المسجد، وأعاد بناء ذلك، وجدد بعض سقفه، وبني السبيل والبركة المقابلين للمسجد[٢].

وقد حدث تجديد يسير[٣] آخر لسطح المسجد في سلطنة الأشرف قايتباي أيضاً سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م.

وللسخاوي[٤] مقولة معبرة عن عمارة مسجد قباء في أيام قايتباي، هي: "وقد جددت منارته وغيرها، ونور، وتزايدت بهجته في أيام الأشرف قايتباي". كما أن المؤرخ السمهودي المعاصر للأحداث - كالسخاوي- تحدث عن العمارة السابقة وذكر أنه قد تم إحكام مصرف المياه التي كانت تجتمع حول المسجد عند كثرة الأمطار، وأنفق قايتباي على هذه العمارة وهذا العمل كله مالاً جزيلاً، وأمكن الاستفادة من ماء المطر عند مسجد قباء "وذلك كله في الصحائف الشريفة السلطانية الأشرفية، أعز الله أنصارها، وأعلى في سلوك العدل منارها، على يد متولي العمارة الجناب الشمسي"[٥].

أما عن اهتمام سلاطين المماليك بمسجد القبلتين، فإنهم جددوا سقفه في

---

(١) السمهودي: المصدر السابق ج٣، ص ٢٤.

(٢) السمهودي: المصدر السابق ج٣، ص ص٢٤ و ٢٥ وراجع ج٢ ص ١٦٤ و ١٧٤؛ وراجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٤٣٩.

(٣) راجع السخاوي: المصدر السابق، ج١، ص٤٣٩.

(٤) السخاوي: المصدر السابق، ج١، ص٤١.

(٥) السمهودي: المصدر السابق، ج٢، ص١٧٤.

أيام الأشرف قايتباي سنة ٩٨٣هـ/ ١٤٨٧م على يد شيخ الخدامين الأمير شجاع الدين الجمالي[(١)].

وكذلك اهتموا بمساجد الفتح[(٢)] فتم تجديد المسجد المنسوب لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م حيث جدده الأمير زين الدين ضغيم المنصوري في عهد قايتباي، بعد أن تهدم بناؤه[(٣)]. كما سقف أمير المدينة زين الدين ضغيم مسجد الفتح أيضاً، واهتم بباقي مساجد الفتح الأخرى[(٤)]. وجدد هذا الأمير مسجداً آخر منسوباً لعلى بن أبي طالب سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م يقال إنه صلى به العيد وقت حصار سيدنا عثمان ﷺ.

وحظي مسجد بنى قريظة[(٥)] بعناية سلاطين المماليك، فجددوه مرتين: المرة الأولى ٧١٠هـ/ ١٣٠١م حيث جدد، وبني عليه خطير "سور قصير" مقدار نصف قامة[(٦)]، والمرة الثانية والأخيرة في زمن المماليك كانت سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م على يد الأمير شاهين الجمالي[(٧)].

كما تم تجديد مسجد الجمعة الذي صلى به النبي ﷺ أول جمعة بالمدينة، وهو في بن سالم، على يمين السالك إلى مسجد قباء، وجدده الأمير شاهين

---

(١) السمهودي: السابق، ج٣، ص٤٧؛ وراجع السخاوي: السابق، ج١، ص٤١ و ص ٤٣٩ وجعل تجديد السقف سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢ م، وراجع من ص ٤٣٨- ٤٤٠ للوقوف على ترجمة الأمير شاهين شجاع الدين الجمالي.

(٢) عنها راجع السمهودي: السابق، ج٣، ص ص٣٩- ٤٤ ومسجد الفتح هو الذي دعا فيه النبي ﷺ يوم الخندق على الأحزاب، وصلى فيه فاستجيب له وحوله مساجد تعرف بذلك وبغيره، كأبي بكر، وعليّ، وسلمان. راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٤١.

(٣) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٤٠؛ والسمهودي: السابق، ج٣، ص٤٤.

(٤) راجع السمهودي: السابق، ج٣، ص٤٤.

(٥) عنه راجع السمهودي: السابق، ج٣، ص ص٣٤- ٣٥.

(٦) السمهودي: السابق، ج٣، ص٣٥.

(٧) راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص ص٤١ و ٤٣٩ والسمهودي: السابق، ج٣، ص٣٥.

الجمالي أيضاً[١]. وجدد الأمير شاهين الجمالي أيضاً مسجد أبي بن كعب في أول البقيع، ويبدو أنه قد زيد فيه زيادة ملحوظة، مما جعل السخاوي يقول: "بل كاد أن يكون أنشأه الأمير شاهين الجمالي"[٢].

وامتدت عناية سلاطين المماليك لمساجد المدينة النبوية الشريفة إلى مسجد المصلي الذي كان يصلي فيه رسول الله ﷺ العيد[٣] فتمت عمارته في أيام السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاوون (٧٤٧- ٧٥٢ هـ /١٣٤٧- ١٣٥٤م)[٤]. ورأى المؤرخ السمهودي كتابة على بابه تشير إلى هذه العمارة[٥]، وحدثت عمارة أخرى لهذا المسجد سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م في ولاية السلطان الأشرف إينال (٨٥٧- ٨٦٥ هـ/ ١٤٥٣- ١٤٦٠م) وزاد بعض الزيادات[٦].

هذا وقد حدث ترميم لمسجد الإجابة[٧]، ومسجد بنى ظفر[٨]، وتم بناء مسجد السقيا[٩]، ومسجد الراية الذي بناه الأمير جانبك النيروزي سنة خمس أو

---

(١) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٣٩. ويعرف هذا المسجد أيضاً بمسجد الوادي لوقوعه ببطن الوادي. ولم يذكر السخاوي تاريخ تجديده، ولعله جدد في نفس فترة تجديد مسجد بنى قريظة، ومسجد القبلتين، أي سنة ٨٩٣ هـ.

(٢) السخاوي: السابق، ج١، ص٣٨، وعن هذا المسجد راجع السمهودي: السابق ج٣، ص ص٥٤- ٥٥، وما يقال عن مسجد الجمعة أيضاً عن هذا المسجد.

(٣) راجع السمهودي: السابق ج٣، ص ص٣- ١٠ للوقوف على مصلى العيد الذي كان يصلى فيه رسول الله ﷺ العيد، وعلى الأماكن الأخرى التي صلى فيها رسول الله ﷺ العيد قبل هذا المصلى. وراجع حتى ص ١٥.

(٤) وللناصر حسن بن محمد بن قلاوون ولاية أخري أخيرة من (٧٥٥ هـ - ٧٦٢هـ/ ١٣٥٤- ١٣٦٠م)

(٥) السمهودي: السابق ج٣، ص٧.

(٦) السمهودي: السابق ج٣، ص٨.

(٧) السمهودي: السابق ج٣، ص٣٨ وراجع السخاوي: السابق، ج١، ص٣٨.

(٨) السمهودي: السابق ج٣، ص٣٧ وعنه راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٣٩ ويعرف هذا المسجد أيضاً بمسجد البغلة لوجود أثر حافر بغلة النبي صلى عنده. راجع المصدرين السابقين والصفحات نفسها.

(٩) السمهودي: السابق، ج٣، ص ٤٩؛ وعنه راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٤٠.

ست وأربعين وثمانمائة في أثناء حكم الظاهر جقمق (٨٤٢- ٨٥٧ هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م)[١].

ولم يقف اهتمام سلاطين المماليك عند تجديد[٢] وترميم وعمارة مساجد المدينة النبوية المباركة، وإنما بني في عهدهم مسجدان بعد الخمسين وثمانمائة من الهجرة بطريق مسجد قباء، أحدثهما الأمير محمد بن أحمد السلاوي[٣]، كما بنى بعض العلماء مساجد أخري بالمدينة في عصر المماليك أيضا[٤].

كذلك تم تجديد المساجد الواقعة بين مكة والمدينة المنورة كمسجد ذي الخليفة[٥] وغيره[٦].

وهكذا كانت عناية واهتمام سلاطين المماليك بمساجد المدينة المنورة التي شهدت عمارة كبيرة في عهدهم، مما يبين حرصهم الكامل على عمران المدينة النبوية بالمساجد المشيدة تشييداً يليق بها، ويناسب مكانتها، ويسهم في أداء وظيفتها المنوطة بها.

ثالثاً: عمارة المدارس:

أقيم بالمدينة المنورة في عصر سلاطين المماليك تسع مدارس جديدة لتدريس الفقه، والحديث الشريف، وغير ذلك من ألوان الثقافة الإسلامية، وأسهم السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة المملوكية، والفقهاء والأثرياء في تشييد هذه المدارس التي قامت بدور فكري واضح بالمدينة الشريفة. إلى جانب مسجده

---

(١) السمهودي: المصدر السابق، ج٣، ص٤٩؛ وعنه راجع السخاوي: المصدر السابق، ج١، ص٣٩. وقد يسمى هذا المسجد باسم مسجد "ذباب" نسبة إلى الجبل الذي عليه مسجد الراية وعن هذا الجبل راجع السمهودي: السابق، ج٤، ص٧٧

(٢) وراجع أيضاً السخاوي: السابق، ج١، ص٤٣٩ للوقوف على مساجد أخرى مجددة زمن المماليك.

(٣) راجع السمهودي: المصدر السابق، ج٣، ص٥٨، والسخاوي: المصدر السابق، ج١، ص٣٩.

(٤) راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٢٩٠.

(٥) راجع السمهودي: المصدر السابق، ج٣، ص١٦١.

(٦) راجع السمهودي: المصدر السابق، ج٣، ص١٧٢.

الشريف واربطته، وأبرز وأهم المدارس التي بنيت بالمدينة المنورة في عصر سلاطين المماليك: المدرسة الجوبانية التي بناها الأمير جوبان[١]. (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م إلى جوار الحرم الشريف بباب الرحمة[٢].

وقد وصفها المؤرخون بأنها "مدرسة مليحة "[٣]. وذكر السخاوي[٤]. أنه ليس بالمدينة الشريفة مدرسة ولا رباط ولا دار أحسن بناءً وأتقن وأمكن وأحصن منها "مع شرف الجوار، وقرب الديار، وقرب الجدار بالجدار". ومن مدرسي هذه المدرسة: عبدالسلام بن محمد العز الشيخ الفقيه الفلكي[٥].

(ولد ٨٦٤ هـ /١٤٥٩م) أحد تلاميذه الإمام السخاوي.

ومن هذه المدارس أيضاً : المدرسة البنجالية التي بناها غياث الدين أبو المظفر صاحب بنجالة بالهند سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م عند باب السلام في موضع يعرف بالحصن العتيق، اشتراه الأمير غياث الدين وأقام فيه المدرسة البنجالية الغياثية[٦].

---

(١) نائب السلطان التتري الإيلخاني أبي سعيد بالعراق وفارس وكان جوبان بطلاً شجاعاً، رفيع القدر عند المغول، وقام بعدة أعمال مهمة بالحرمين منها إيصاله الماء إلى مكة والحرم الشريف، حتى جرى الماء بها، وأصبح ميسراً متوافراً لا يبع، وأنفق على ذلك أموالا جزيلة. راجع ترجمته الصفدي: **الوافي**، ج١١، ص ص٢٢٠ –٢٢٢؛ **وأعيان العصر**، ج٢، ص١٦٩؛ وابن كثير: **البداية والنهاية**، ج١٤، ص١٤٠؛ والسخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص ص٢٤٩- ٢٥١ وراجع السمهودي: السابق، ج٢، ص٢٢٤.

(٢) راجع الصفدي: **الوافي**، ج١١، ص٢٢٠؛ **وأعيان العصر**، ج٢، ص١٦٩؛ وابن كثير، السابق، ج١٤، ص١٤٠؛ والسخاوي: السابق، ج١، ص٢٤٩؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص٢٢٤. وعن باب الرحمة راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص ص٢٢٠- ٢٢١ وعن أبواب الحرم جميعاً راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص ص٢١٢ - ٢٢٧ و ص٢٤٠.

(٣) المصادر السابقة نفسها والصفحات نفسها.

(٤) السخاوي: المصدر السابق، ج١، ص٢٤٩.

(٥) السخاوي: السابق، ج٣، ص١٥.

(٦) راجع المقريزي: **درر العقود الفريدة**، ج٢، ص ص٥٠٨ - ٥١٠؛ والسخاوي: **الضوء اللامع**، ج٢، ص٣١٣؛ **والتحفة**، ج١، ص١٩٢، والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص٢٢٤ و ص ٢٢٦؛ وابن حجر: **إنباء الغمر**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ج٢، ص٣٦٨.

وقد رتب السلطان غياث الدين بالمدرسة مدرسين وطلبة، وجعل لها وقفاً[(١)]. ومن أبرز مدرسيها أحمد بن محمد، الشهاب بن الضياء[(٢)] (ت ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م) وعبدالقادر المحيوي (ت ٨٩٥هـ /١٤٨٩م) وكان كالشهاب بن الضياء فقيهاً، بارعاً في القراءات، نابغاً في الحديث، والنحو، وباقي علوم الدين واللغة، وارتبط بعلاقة متينة بالإمام السخاوي[(٣)].

ومنها: مدرسة الفيروزابادي العلامة الشافعي اللغوي (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م) الذي كانت له داران بمكة والمدينة، فجعلهما مدرستين، وقرر بهما مدرسين وطلبة[(٤)].

ومنها: المدرسة الكلبرجيه التي أنشاها سلطان كلبرجه بالهند: شهاب الدين أحمد سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م بالقرب من باب الرحمة، وأرسل بقنديل ضخم علق في جهة الوجه الشريف[(٥)]. ومن أبرز شيوخ هذه المدرسة الإمام العلامة عز الدين طاهر بن أحمد (ت ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) الفقيه المحدث "وهو أول من ولي مشيخة الكلبرجية بباب الرحمة بشرط واقفها وجعلها لذريته أيضاً"[(٦)].

ومنها: المدرسة الباسطية التي أنشاها الفقيه العلامة زين الدين عبدالباسط الشافعي سنة بضع وأربعين وثمانمائة من الهجرة[(٧)]. ودرس فيها الفقيه القاضي عبدالباسط حتى وفاته سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥ م فدرس بعده فيها البرهان إبراهيم ابن القاضي فتح الدين "بورك فيه"[(٨)]. وباشر مع تولي مشيخة الباسطية إمامة

---

(١) السخاوي: **التحفة**، ج١، ص١٩٢.

(٢) السخاوي: المصدر السابق نفسه، ج١، ص١٤٦.

(٣) السخاوي: السابق، ج٣، ص٥٣ وراجع من ص ص٥١- ٥٥.

(٤) راجع المقريزي: **المقفى**، ج٧، ص ص٤٨٣- ٤٨٧؛ وابن العماد: **شذرات الذهب**، ج٩، ص ١٨٧ وراجع من ص ص١٨٦- ١٩٢.

(٥) السخاوي: **التحفة**، ج١، ص١٦١؛ وراجع السمهودي: السابق، ج٢، ص٢٢٠.

(٦) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٤٦٧ وراجع من ص ٤٦٦.

(٧) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٣٦ و ج٣، ص٢١١ وفيها يذكر السخاوي أنها بنيت لأجله من أحد الواقفين، ويدعى نصيبا؛ وراجع السمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص ص٢٣٨ و ٢٣٩.

(٨) السخاوي: السابق، ج٣، ص ٢١٢ وراجع ج١، ص ٨٦.

التراويح بالمسجد النبوي، ثم الخطابة به، وكان السخاوي ممن سمع خطبته وصلى خلفه[(١)].

ومن أبرز من أخذ العلم بالباسطية على يد شيخها زين الدين عبدالباسط: المحدث إبراهيم ابن عبدالرحمن، ابن القطان (ت ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م) وقال عنه السخاوي، "وهو خاتمة من نعرفه من قدماء المدينة"[(٢)].

ومنها: المدرسة الأشرفية التي أنشأها السلطان المملوكي قايتباي بدءاً من سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م بين بابي الرحمة والسلام، حيث أمر بشراء دور العشرة[(٣)]، فاشترى شمس الدين بن الزمن - المشرف على عمارة المدرسة- هذه الدور، وأقام هذه المدرسة، وجعل بها خلاوي بشبابيك كثيرة على الحرم، وتكلم المشرف مع الإمام السخاوي على أن يكون للمدرسة شبابيك على الحجرة الشريفة، فأفتى بمنع ذلك، وأبدي المحذورات الشرعية لذلك المنع، وأسست للمدرسة منارة في ناحيتها التي تلي باب الرحمة، وأقيم لها سبيل عظيم وقاعة عظيمة ورباط وفرن وطاحون ومطبخ، واشترى السلطان قايتباي لها أراضي بمصر، جعلها وقفا عليها، وعلى أهالي المدينة المنورة، وأجري الأشرف قايتباي ماء العين الزرقاء إلى مدرسته[(٤)]. وذكر السخاوي[(٥)] أن السلطان شرع في إصلاح

---

(١) السخاوي: السابق، ج١، ص ص٨٦- ٨٧.

(٢) السخاوي: السابق، ج١، ص٧٦ وراجع من ص٧٥.

(٣) السمهودي: السابق، ج٢، ص١٨١؛ وعبدالعزيز النجم: **بلوغ القرى**، ج١، ص٢١٥. ولم يذكر المراد بدور العشرة، وربما أن تكون دور العشرة المبشرين بالجنة لا سيما وأن دورهم كانت ملاصقة للمسجد عند خط رسول الله ﷺ الدور بالمدينة. وراجع عن دور الصحابة السمهودي: السابق، ج٢، ص ص٢٣٥- ٢٦٩ وراجع ج٢، ص ص٦٠- ٦٧ وراجع وقف دار قبالة العشرة أوقفها عنبر الموصلي أحد خدام المسجد النبوي لدى السخاوي: **التحفة**، ج٣، ص٣٧٣.

(٤) راجع السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٤٢؛**والتحفة**، ج١، ص٣٦، و ج٢، ص٢٤٣ و ج٣، ص٤١٠؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص ص١٨١- ١٨٣، و ص٢٠٧؛ وابن طولون: **مفاكهة الخلان**، ص٣١، وجعل بناء المدرسة في آخر سنة ٨٨٦هـ؛ وعبدالعزيز بن النجم: السابق، ج١، ص٢١٥؛ وابن إياس: **بدائع الزهور**، ج٣، ص١٩٦؛ والغزي: **الكواكب السائرة**، ج١، ص٣٠٠ وراجع من ص ص٢٩٨- ٣٠١.

(٥) السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٤٢.

عين قديمة، أصلها بقباء، ومغيضها عند مساجد الفتح، وتحصل فيه خير كثير لما استهلت سنة ٨٨٩ هـ/ ١٤٩٣م كانت المدرسة الأشرفية قد انتهي عمرانها فيما عدا ترخيمها. وسكن بعض خلاويها[١]. ووصلت من مصر إليها في السنة السابقة منها أحمال من كتب العلوم الشرعية الموقوفة على هذه المدرسة، وأحمال أخري من الحب والدقيق والقدور النحاسية اللازمة لطعام مدرسي وطلبة المدرسة[٢].

ويبدو أن فتوى المحدث السخاوي قد أخذ بها في نهاية الأمر بشان الشبابيك المفتوحة على الحرم الشريف، إذ يشير السمهودي[٣] إلى سدها بفصوص الأحجار، وسد بعض طاقاتها، وجعل قمريات من الزجاج في الطاقات التي لم تسد.

ومن هذه المدارس: المدرسة المزهرية المنسوبة لكاتب السر الشيخ الزينى بن مزهر الذي أنشاها سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م عند باب الرحمة من المسجد النبوي الشريف، على يد العلامة الشيخ نور الدين المحلي، وبنى كذلك رباطين: أحدهما للرجال، والآخر للنساء[٤]. وقد نزل هذه المدرسة المحدث المؤرخ السخاوي سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م كما ذكر هو نفسه[٥].

ومنها: المدرسة الزمنية المنسوبة للشمس بن الزمن (ت ٩٨٧هـ/ ١٤٩١م) ناظر العمارة، وتقع غربي المدرسة الباسطية عند سوق المدينة في القرن العاشر الهجري[٦]. ولم تشر المصادر إلى تاريخ بناء هذه المدرسة.

ومنها: المدرسة التي بناها أحد أمراء الشام ويدعى (يازكوح) للحنفية عند باب النساء[٧]. ولم تحدد مصادرنا تاريخ عمارة هذه المدرسة.

---

(١) السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٤٨.

(٢) السمهودي: السابق، ج٢، ص١٨٣.

(٣) السمهودي: السابق، ج١، ص١٨١.

(٤) راجع السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص١٠٤٠؛ **والتحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٦؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص٢٢٠.

(٥) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٦.

(٦) راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٦؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص ص٢٣٩ و ٢٤٩.

(٧) راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص٢١٦.

هكذا بني في عصر المماليك تسع مدارس جديدة بالمدينة النبوية على رأسها المدرسة الأشرفية للسلطان قايتباي، وبعض مدارس الأمراء، ورجال الدولة، وغيرهم. وأسهمت هذه المدارس مع ما كان موجوداً من مدارس أخرى[١] بالمدينة في نشر الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية بفروعها المختلفة.

وكانت مدارس المدينة المنورة مسكناً للعلماء[٢] والطلبة[٣]، وغيرهم[٤] وأوقفت الكتب عليها[٥]، بل تم تجديد بعضها على أيدي بعض الأثرياء[٦].

وكان لهذه المدارس من يحرسها، ويقوم بأمرها[٧]. وما من شك في أن الدولة المملوكية قامت بدور مهم في الإنفاق على هذه المدارس كلها إنفاقاً يمكنها من أداء رسالتها التعليمية، ودورها الثقافي.

رابعاً: عمارة الأربطة:

تعد الأربطة من المنشآت الاجتماعية والتعليمية في آن واحد، كما تعد في المدن الثغرية من المنشآت الحربية، وقد عرفت المدينة المنورة هذه الأربطة التي آوت بعض الحجاج[٨]، والمجاورين[٩]، وبعض الزائرين، وبعض

---

(١) منها المدرسة الشهابية التي بناها الملك المظفر غازي بن الملك العادل الأيوبي للمذاهب الأربعة، وعنها راجع السمهودي: السابق، ج١، ص ص٢٠٥- ٢٠٦ و ص١٦٦، و ج٢، ص٢٤٦؛ وراجع التدريس بها، ابن الجزري: **تاريخ حوادث الزمان**، ج١، ص ص١٣٢ –١٣٣؛ والسخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص١١١؛ وعن باقي المدارس راجع، السخاوي: السابق، ج١، ص ص٩٤ و ١٤٦، و ج٣، ص ص٢٧٩ و ٤٦٦.

(٢) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص ص١٧٧ و ٤٢٤، و ج٣ ص ص٨- ٩ وص ٢٧٩ و ص٧٠٧.

(٣) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص١١١.

(٤) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٩٤.

(٥) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص ص٧٠- ٧١، و ج٣، ص ص٧٠٦ - ٧٠٧.

(٦) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٩٤.

(٧) راجع على سبيل المثال السخاوي: السابق، ج١، ص٤٠٩

(٨) راجع على سبيل المثال ابن الجزري: **تاريخ حوادث الزمن**، ج٢، ص١٦٢.

(٩) راجع على سبيل المثال السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٢٨٩، و ج٣، ص٢٦٧.

الفقراء[(١)] ولعبت هذه الأربطة دوراً اجتماعياً وآخر تعليمياً بالمدينة الشريفة، وضمت هذه الأربطة الكتب المختلفة بخزائنها، كما أوقفت الأوقاف عليها، كي تؤدي دورها على أحسن وجه، وأجمل حال.

وقد أقيم بالمدينة الشريفة في عصر سلاطين المماليك أكثر من عشرين رباطاً، إضافة إلى الربط التي كانت موجودة بها قبل عصرهم[(٢)]. ومن الربط التي أنشئت بالمدينة النبوية عصر المماليك: الرباط الذي أنشأه ناظر جيش مصر سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م بالمدينة المقدسة[(٣)]. والرباطان اللذان أنشأهما ريحان الهندي أحد خدمة المسجد النبوي - للفقراء، ووصفها بالحسن، وأوقف عليهما دوراً ونخيلاً، وبنى لهما سقاية ماء[(٤)]. ومنها رباط رشيد بن عبد الله السعيدي - أحد الخدام بالمسجد النبوي- وكان فقيهاً، متديناً، يشتري كتب العلم ويوقفها على العلماء، وله خزانة جيدة بها كتب قيمة، "وله رباط ودور وقفها بعد أن تعب في عمارتها وإنشائها"[(٥)]. توفي الشيخ رشيد بعد العشر والسبعمائة.

ومنها: الرباط الذي أنشئ قبل سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م عند باب السلام، وأوقف عليه من النخل بالمدينة أوقاف، وانتفع المجاورون بهذا الرباط انتفاعاً كبيرا[(٦)]. ومنها الرباط الذي أنشأه الأمير جوبان (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) غربي مدرسته[(٧)]. ومنها: رباط الشيخ التستري، محمد بن أحمد (ت ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م)

---

(١) راجع على سبيل المثال السمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص٢٣٢؛ وراجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج٣، ص٥٩٧ وراجع ص٤١٠.

(٢) منها على سبيل المثال رباط السبيل، ورباط النساء وعنهما راجع السمهودي: ج٢، ص٢١٧؛ وعنها راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص ص١٠١ و ١٦٤ و ١٦٨ و ٢٨٩ و ٢٩٧، و ج٣، ص٦٣ و ١٧٥ و ٢٧٩ و ٣٦٧ و ص ص٤٠٦- ٤٠٧ و ٦٨٤ والسمهودي: السابق، ج٢، ص ص٢١٨ و ٢١٩ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٩.

(٣) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٧.

(٤) السخاوي: السابق، ج١، ص٣٥٢

(٥) السخاوي: السابق، ج١، ص٣٤٧

(٦) السخاوي: السابق، ج١، ص٢٦٧

(٧) السمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص٢٤٠.

بالقرب من المسجد الشريف، ووصف بأنه "عش الصالحين"[١].

ومنها: رباط محمد بن فرج المكي الذي أنشأ رباطاً بمكة وآخر بالمدينة[٢].

ومنها: رباطان[٣] للأشرف قايتباي بالمدينة، أحدهما كان فيما بين باب السلام، وباب الرحمة، وبنيا بعد تجديد الحرم النبوي سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م.

ومنها: الرباط الذي أنشأه محمد بن عمر المحب الأنصاري (ت ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) بالمدينة[٤] زمن الظاهر جقمق (٨٤٢- ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨- ١٤٥٣م).

ومنها: رباط ابن الزمن، محمد بن عمر (ت ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م) وأقامة بالمدينة بعد إصلاح العين الزرقاء بها، وإصلاح سقف المسجد النبوي الشريف[٥].

ومنها: الرباطان اللذان أنشأهما ابن مزهر (ت ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م) وأحدهما كان للرجال والآخر للنساء[٦]. وممن سكن رباط للرجال نزيل المدينة: إسماعيل بن محمد السبكي[٧].

إلى غير ذلك من أربطة عديدة[٨] أقيمت بالمدينة المشرفة في عهد المماليك، كما أنه قد أُعيد تعمير بعض الأربطة التي بنيت بالمدينة المنورة قبل عصر المماليك مثل رباط السبيل الذي أقامه القاضي كمال الدين ابن السهروردي (ت ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) فعمره محمد بن فرج المكي[٩] (ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م).

---

(١) السخاوي: السابق، ج٣، ص٤٧٨؛ وراجع عنه السمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص٢١٩.

(٢) السخاوي: السابق، ج٣، ص٧٠٦

(٣) راجع السخاوي: السابق، ج٣، ص٤١٠؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص ص١٨٢ و ص ٢٢٤.

(٤) راجع السخاوي: السابق، ج٣، ص٦٩٦ وراجع من ص ٦٩٥.

(٥) السخاوي: السابق، ج٣، ص٦٩٦.

(٦) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٣٦؛ ووجيز الكلام، ج٣، ص١٠٤٠؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص٢٢٠.

(٧) السخاوي: السابق، ج١، ص١٨٤.

(٨) راجع للوقوف على باقي هذه الأربطة: السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٧ و ص١٢٧ و ١٦٣ وج٣، ص٥٦٧.

(٩) راجع الفاسي: **العقد الثمين**، ج٢، ص٢٥٤.

وقد كان هناك تنافس بين العلماء في إنشاء الأربطة والنفقة عليها[١]، كما كان بعض التجار الأثرياء يوصون بثلث أموالهم لأربطة المدينة المنورة ، ومنهم التاجر على نور الدين (ت ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) وأوصي بثلث ما كان معه في المدينة الشريفة لعمارة بعض الربط بها ، وبثلث ماله في القاهرة أيضاً لهذا الغرض[٢].

كما أنه قد تم توفير الماء الصالح للشرب في هذه الأربطة[٣]، فضلاً عن تقديم الفاكهة لكل هذه الأربطة[٤] والطعام[٥].

ولدينا أخبار عديدة[٦] عن سكن العلماء، والمجاورين، والزائرين، وطلبة العلم، والفقراء لهذه الأربطة جميعاً، وأبرز من مات بأحد ربط المدينة المنورة من الحجاج : قاضي القضاة شمس الدين محمد بن مسلم الصالحي (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) الذي حج في السنة الماضية ووصل إلى المدينة ودخلها قبل الحجاج بيوم، وصلى بالحرم النبوي "وبات تلك الليلة ببعض ربط المدينة" ولما دخل الحجاج المدينة وجدوه ميتاً[٧].

وهكذا عمرت أربطة المدينة المنورة بالعلماء والكتب والوقف عليها، والوصية لها، وبالإنفاق عليها، وبرعايتها الكاملة، الأمر الذي جعلها - بطبيعة الحال- تؤدي دورها العلمي والاجتماعي على أفضل وجه.

خامساً: الاهتمام بمشروعات المياه :

---

(١) راجع السخاوي: السابق، ج٣، ص٥٦٧.

(٢) راجع السخاوي: السابق، ج٣، ص ص٢٧٥- ٢٧٦.

(٣) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٢٩٧ وراجع ص٣٥٢، و ج٣، ص٢٦٧.

(٤) راجع السخاوي: السابق، ج٣، ص ٣١

(٥) راجع السخاوي: السابق، ج٣، ص ٦٩٦

(٦) راجع مصادر هامش (١٥٦).

(٧) ابن الجزري: **تاريخ حوادث الزمان**، ج٢، ص١٦٢؛ وراجع ترجمة هذه الفقيه من ص ص١٦٢- ١٦٤.

اهتم سلاطين المماليك وأمراؤهم، وعلماء الأمة الإسلامية، وأثرياؤها بإقامة المنشآت الاجتماعية الخاصة بمياه الشرب اللازمة لأهل المدينة الشريفة من حفر الآبار، وتعمير للبرك والعيون، وإقامة العديد من السقايات بالمدينة المباركة.

ومن هذه المشروعات المتصلة بتوفير مياه الشرب للمدينة النبوية المطهرة: تجديد بئر رومة سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م على يد القاضي المكي أحمد بن محمد بن أحمد أبو الفضل بن النجم الذي زار المدينة الشريفة في السنة الماضية في قافلة كبيرة، وجدد بئر رومة، ورفع بناءها على الأرض نحو نصف قامة، بعد أن خربت، ونقضت حجارتها، فجددها، مما أدي إلى كثرة مائها واستحق بذلك ثناء السخاوي، والنجم عمر بن فهد المؤرخين[(١)].

ومنها عمارة بئر غرس سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م على يد العلامة الحسين بن أحمد بن محمد المكي، المعروف بابن قاوان الذي جاور بالمكان الشريف وعمر بئر غرس، وحوطها بحديقة موقوفة، وبني بجانبها مسجداً[(٢)].

ومنها تجديد بئر السقيا سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م على يد التاجر حسن بن إبراهيم القاهري (ت ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) الذي تكررت مجاوراته للمدينة المنورة وقام في السنة السابقة بتجديد بئر السقيا[(٣)].

ومنها عمارة العين الزرقاء، عين المدينة النبوية المكرمة أكثر من مرة، فلقد تعرضت هذه العين - التي أصلها بقباء، ومغيضها عند مساجد الفتح وعليها اعتماد أهل المدينة في الشرب- للخراب والتغير سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م حيث

---

(١) راجع السخاوي: **التحفة**، ج١، ص١٤٣؛ وعمر بن فهد: **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، ج٣، ص٢٣٥، وراجع السمهودي: السابق، ج٣، ص١٣٩ وأثنى هو الآخر على القاضي المكي.

(٢) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص ٣٨ و ص٢٩٠؛ وذكر السمهودي: السابق، ج٣، ص١٤٥ تجديد هذه البئر مرتين زمن المماليك، الأولى بعد سنة ٧٠٠ هـ الثانية والأخيرة سنة ٨٨٢هـ.

(٣) السخاوي: السابق، ج١، ص٢٧١ وكانت وفاة هذا التاجر ببولاق بمصر؛ وراجع السمهودي: السابق، ج٣، ص١٤٠.

أمطرت المدينة فيها مطراً عظيماً خربت منه عدة دور، وتلف نخل كثير من هذا السيل، وأتلف هذا السيل بعض أعين المدينة المباركة، ومنها "عين الأزرق" التي عادت ملحاً أجاجاً، فكتب بذلك إلى السلطان المنصور قلاوون من أجل إصلاحها[١]. ولعل السلطان قلاوون قد قام بهذا الإصلاح وإن لم تشر إليه مصادرنا التاريخية. لكن أحد هذه المصادر أشار إلى عمارتها في أيام حكم السلطان ططر (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) على يد عمر بن محمد المعروف بابن المزلق الذي أرسله السلطان ططر بخمسمائة دينار لعمارة هذه العين بعدما خربت، وسئل الظاهر ططر في عمارتها[٢].

ثم عمرت هذه العين مرة أخري سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م بأمر من السلطان الأشرف قايتباي، وأشرف ابن الزمن على هذه العمارة الجديدة لعين الأزرق التي حصل بها خير وفير لأهل المدينة الشريفة بعد عمارتها[٣].

كما جدد الأمير ودي عيناً قديمة قبلي وادي قناة بالمدينة المشرفة[٤]. وجدد السيد السمهودي بئراً عند مسجد السقيا بعد انطماس أثره[٥]. كذلك كانت بئر بضاعة تؤدي دورها في إرواء أهل المدينة المنورة حتى بعد شراء الأمير شاهين

---

(١) المقريزى: **السلوك**، ج١، قسم ٣، ص٧٣٧.

(٢) السخاوي: السابق، ج١، ص٣٥٩.

(٣) راجع السخاوي: السابق، ج٣، ص٦٩٦؛ ووجيز **الكلام**، ج٣، ص٩٤١؛ والغزي: **الكواكب السائرة**، ج١، ص٣٠٠ وعنده ثناء على السلطان قايتباي. وعن السقيا من العين الزرقاء راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٢٩٧. وعن المشروعات الخاصة بهذه العين قبل المماليك راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٢٩٧، وللوقوف على سير ماء هذه العين من قباء إلى المدينة؛ راجع السمهودي: السابق، ج٣، ص ص١٤٧- ١٥٠ وذكر أنها كانت تجري في بناء، وأنها كانت تدخل تحت سور المدينة، وأنها كانت تسعى النخل، وكان يتوضأ منها، ويشرب منها كذلك.

(٤) السمهودي: السابق، ج٣، ص٢١٢، وكان الأمير ودى بالمدينة في منتصف القرن الثامن الهجري. راجع **السخاوي التحفة**، ج١، ص٣٠٨ وراجع عنه المقريزي: **السلوك**، ج٢، قسم ٢، ص٣٣٣؛ **والمقفى**، ج٢، ص ص١٣- ١٤ وتوفي ودى سنة ٧٥٢ هـ.

(٥) السخاوي: **التحفة الطبية**، ج١، ص٤٠. وعن السيد السمهودي راجع ج١، ص٨٣ و ١٠١ و ٢٢٥.

شجاع الدين شيخ الخدام لها، حيث تكررت ضيافته للغرباء، وكان المؤرخ السخاوي ممن استدعاه الشيخ الأمير شاهين لها أكثر من مرة[١].

هذا بالإضافة إلى إنشاء السقاية لأهل المدينة، حسبة، وطلباً للأجر والمثوبة الإلهية، ومنها سقاية الماء التي بناها ريحان الهندي أحد خدمة المسجد النبوي، الذي اشتهر بحب الخير وعظيم المعروف، وبمآثره المذكورة وأعماله الكريمة[٢]. وكذلك إنشاء السبل[٣].

ولم يقف الأمر عند الاهتمام بتوفير المياه بالمدينة المكرمة فحسب، بل في الطرق المؤدية إليها، فلقد عمر الظاهر برقوق (٧٨٤- ٨٠١هـ /١٣٨٢-١٣٨٨م) بركة كبيرة برأس وادي سالم في طريق المدينة النبوية لسقى الحجاج وغيرهم[٤].

كما أنه قد صدر أمر السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م بتجهيز الفعلة وأهل المعرفة بالبناء "لإصلاح الآبار وأماكن المياه التي في طريق الجاز"[٥].

وهكذا تضافرت الجهود، وقويت العزائم، وصدقت النوايا في العمل على توفير مياه الشرب بالمدينة الشريفة، وأسهم الجميع: حكاماً ومحكومين في هذا العمل النبيل.

---

(١) راجع السخاوي: السابق نفسه، ج١، ص ص٣٧- ٣٨ و ٤٣٨ - ٤٣٩ والسمهودي: السابق، ج٣، ص١٣٠ ويذكر هنا أن هناك بئراً بالمدينة هي "البصة" كان زمن المماليك وقفاً على الفقراء. السمهودي: السابق، ج٣، ص١٢٨ وذكر أن وقفها كان سنة ٦٩٧هـ. وراجع السخاوي: السابق، ج١، ص٣٧.

(٢) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٣٥٢.

(٣) راجع على سبيل المثال ابن شداد: **تاريخ الملك الظاهر**، ص٢١٩ والسمهودي: السابق، ج٢، ص٢٠٧.

(٤) راجع ابن إياس: **بدائع الزهور**، ج١، قسم ٢، ص٥٣٣.

(٥) ابن حجر: **إنباء الغمر**، دار الكتب العلمية، ج٨، ص٢٢٧.

سادساً: عمارة البيمارستان:

اعتني سلاطين المماليك ببيمارستان المدينة النبوية الشريفة الأساسي عناية جعلته يؤدي واجبه على أكمل وجه، كما تم إنشاء بيمارستانات أخري في بعض منازل المدينة المباركة، وأدت هي الأخرى واجبها في علاج المرضى.

وكان بيمارستان المدينة الشريفة قد جدد على يد الظاهر بيبرس الذي أرسل إليه بعد تجديده بالأدوية المختلفة، وبعث إليه طبيباً من مصر[١]. ويذكر ابن شداد[٢] أن السلطان الظاهر بيبرس رتب في البيمارستان الأطباء والأدوية لعلاج المرضي المقيمين والوافدين، وكانت الأدوية تحمل إلى البيمارستان في كل سنة.

ولدينا خبر[٣] عن توافر احتياجات بيمارستان المدينة سنة ٧٤٨هـ /١٣٤٧م الأمر الذي جعله مطمعاً لبعض الناهبين، مما يثبت استمرار سلاطين المماليك في الاهتمام بالبيمارستان وتوفير مستلزماته ومتطلباته، كما أنه لدينا خبر عن أحد أمناء البيمارستان ممن يتولون الإشراف عليه ورعايته[٤].

ومما يدل على قيام هذا البيمارستان بوظيفته في علاج المرضي في الفترات المتأخرة من حكم المماليك نزول محمد بن محمد بن ألب ارسلان السلجوقى به للعلاج ووفاته[٥] به سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م.

ويبدو أن هذا البيمارستان لم يكن الوحيد بالمدينة المشرفة بدليل ما قام به دينار البدري أحد خدام المسجد النبوي الشريف (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) من إقامة

---

(١) الصفدي: **الوافي**، ج١٠، ص٣٤٠.

(٢) ابن شداد: **تاريخ الملك الظاهر**، ص٣٠٠.

(٣) راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، جـ١ ص ٢٧٩.

(٤) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٤٦١. وعن هذا البيمارستان قبل المماليك؛ راجع السمهودي: السابق، ج٢، ص٢١٩؛ والسخاوي: السابق، ج١، ص٣٧.

(٥) عمر بن فهد: **الدر الكمين**، ج١، ص٣٦٠.

مارستان للمرضى بمنزله، يقوم بعلاج مرضى المدينة المنورة، فما كان يمرض فقير أو مجاور أو مسافر "إلا وتبادر في الحين إلى عيادته، ويحمل إليه من الأشربه والأغذية الملوكية حسب شهوة المريض وإرادته. وإذا وصف لمريض دواء مفقود بذل في تحصيله النقود، ولا يبقى في ذلك شيئاً من المجهول"[١].

إن هذا الخادم العظيم جعل من منزلة في المدينة المنورة بيمارستانا، وجعل من نفسه بيمارستان متنقلاً، يحمل الدواء إلى أهل الربط في ربطهم، والى المدرسين والطلبة في مدارسهم، وإلى الفقراء في أماكنهم، ويحمل إليهم الأطعمة المناسبة لمرضهم، ويبذل قصارى جهده في توفير ما عز من دواء، ويقوم بهذه الأمور كلها بنفسه "ولا يستعمل في ذلك أحدا، لا غلامه، ولا عبده، ولا يخص بمعارفه معارفه بل كان يعم به كل من كان جاهله أو عارفه"[٢].

ولأن خدام المسجد النبوي الشريف كانوا يتبارون في الخير، ويتنافسون في المعروف بدليل قول السخاوي في موطن آخر: "على أن جميع الخدام في تلك الأزمان كانوا بالمكارم يتفاضلون، وبالبذل والسخاء في ميدان الإخاء يتفاضلون"[٣]. وذلك في معرض ترجمته لخادم آخر عظيم[٤] هو صواب، الشمس المغيثي (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) الذي اشتهر بالتقوي والكرم والبذل والسخاء.

أقول: أغلب الظن أن يكون آخرون من أهل المدينة المنورة قد سلكوا مسلك الخادم الجليل دينار المعزي البدري في إقامة المارستانات في منازلهم وفى توفير العلاج اللازم لمرضى المدينة جميعاً من أهلها ومن المجاورين بها أو الزائرين

---

(١) السخاوي: السابق، ج١، ص٣٣٤.

(٢) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص ص٣٣٤- ٣٣٥.

(٣) السخاوي: السابق، ج١، ص٤٦١.

(٤) للوقوف على خدام المسجد النبوي وصفاتهم وأعمالهم العظيمة. راجع السخاوي: السابق، ج١، ص ص٣٤- ٣٦ و ٦١ و ١٤٠ و ٢٢٢ و ٣٣٢- ٣٣٤ و ٣٤٧ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٨٢ و ٤٥٨ و ٤٥٩؛ وراجع الحلبي: **القبس الحاوي**، ج١، ص٤٣؛ وعبدالعزيز بن النجم: **بلوغ القرى**، ج١، ص ص١٢٤ و ١٢٨؛ وراجع ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، ص١٤٩؛ وابن شداد: **تاريخ الملك الظاهر**، ص٢١٩.

لمسجدها الشريف.

وهكذا فإن بيمارستان المدينة الرئيسي وجد عناية من سلاطين المماليك، وظل يقوم بوظيفته كاملة في علاج المرضى بالمدينة الشريفة، كما وجدت بيمارستانات أخرى كان لها دورها المهم في علاج المرضى بالمدينة المكرمة أيضا.

سابعاً: الاهتمام بالمشروعات الاجتماعية: (تسهيل طريقها - إنشاء حمامها)

تضمنت مصادرنا التاريخية بعض مشروعات اجتماعية غير ما سبق الحديث عنهم المشروعات المختصة بالمياه، أو تلك المتصلة بالصحة، أو ما تم تناوله من إقامة للربط التي تقوم بوظائف مختلفة، بعضها اجتماعي، وبعضها ديني، وبعضها تعليمي.

أما هذه المشروعات الجديدة فتتعلق بتسهيل طرق المدينة، وإنشاء الحمامات بها، والعمل الأول قام به العلامة محمد بن محمد بن مسعود النيساوي (ت ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) وكان قد زار المدينة من مكة المكرمة في طريق الماشي وسهل في طريقها أماكن مستصعبة "وفعل مثل ذلك في جبل حراء وجبل ثور أجزل الله تعالى على ذلك ثوابه"[١].

ويستخلص من هذا الخبر وجود طريق ممهد ميسر للمدينة المكرمة، وقام هذا العالم بإزالة بعض صعوبات فيه تحول دون السير المريح ببعض أماكن هذا الطريق المسلوك، وهو عمل مهم للمدينة المنورة وروادها المؤمنين.

وفيما يتصل بحمام المدينة الذي أنشئ في زمن الأشرف قايتباي فإنها أنشئت بالقرب من باب السلام سنة ٨٩٠ هـ /١٤٨٥م كما يذهب السخاوي الذي ذكر أنه لم يعهد بالمدينة قط حمام، وأن أهلها كانوا في غنى عنها[٢]. ويفهم من خبر

---

(١) الفاسي: **العقد الثمين**، ج٢، ص٣٢٢.

(٢) السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٦٠؛ وراجع أيضاً: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٧ و ج٣، ص٤١٠؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص١٨٢.

السخاوي عن هذه الحمامات أنها لم تكن حماماً واحداً بل كانت داراً تضم عدة حمامات، بدليل قوله: "دار الحمام الذي أنشئ بالمدينة النبوية من جهة باب السلام"[١].

وتبين لنا مما سبق نوعاً وشكلاً جديدين لعمارة المدينة الشريفة زمن سلاطين المماليك.

ثامناً: الاهتمام بسور المدينة:

حرص سلاطين المماليك على توفير الأمن بالمدينة الشريفة، فكانوا يرسلون الجند لحمايتها، ويمنعون حمل السلاح بها، واشتهر الناصر قلاوون بهذا الفكر الأمني السليم[٢].

ومن مظاهر اهتمام سلاطين المماليك أنهم كانوا يرسلون مماليك صحبة الحجاج بالمدينة الشريفة عند زيارتها لحفظ الأمن بها، وكان هؤلاء المماليك المجردون لحفظ الحجاج وسلامتهم، والأمن بالمدينة لا يتركون الحجاج في أي مكان منها، وحدث أن قتل ثلاثة من هؤلاء المماليك المجردين وهم يصحبون الحجاج عند زيارة البقيع[٣] سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م.

ولأن أمراء المدينة النبوية من الأشراف الاثني عشرية لم يكونوا - أبدا- على قدر المسئولية لأنهم تنازعوا كثيراً، وقتل بعضهم بعضاً، ونهبوا المدينة كثيراً "واستهانوا بحرمة المسجد، وارتكبوا عظائم"[٤]. فإن سلاطين المماليك

---

(١) السخاوي: **وجيز الكلام**، ج٣، ص٩٦٠.

(٢) راجع المقريزي: **السلوك**، ج٢، قسم ٢، ص٥٣٣.

(٣) المقريزي: **السلوك**، ج٤، قسم ٣، ص١١٥٧، وقتلهم عدة من الأعراب.

(٤) المقريزي: **السلوك**، ج٤، قسم ٢، ص٧٢٨؛ وراجع عن هذه القطائع من نهب للحجاج، واستيلاء على قناديل الحجرة الشريفة ونهبها ما تقدم في هامش (٧٥)؛ وراجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج٣، ص ص٢٦٧ - ٢٦٨.

كانوا يحاولون ترضيتهم والإنعام عليهم بقطائع بالشام وغيره[1]، حتى بعد سجن بعضهم أحيانا.

وكان سلاطين المماليك يرسلون فرسانا يتقدمهم أحد الأمراء المشهورين للتصدي للأعراب، ولاحتواء فتن أمراء المدينة الأشراف الاثني عشرية[2] تلك الفتن التي لم تكن لتسكن إلا لتندلع من جديد، وكانوا هؤلاء الأشراف الاثني عشرية هم النقطة السوداء - فقط- في تاريخ المدينة الشريفة الناصع عصر سلاطين المماليك، وأدلل على هذا بما حدث سنة ٨٢٩هـ /١٤٢٥م - على سبيل المثال فقط- من فتن بين هؤلاء الأشراف، ونهب للمدينة الشريفة، بما قاله المقريزي: "قدم الخبر بتشتت أهل المدينة المنورة وانتزاحهم عنها لشدة الخوف، وضياع أحوال المسجد النبوي، وقلة الاهتمام بإقامة شعائر الله فيه، منذ كانت كائنة المدينة فرسم بسفر الأمير بكتمر السعدي أحد أمراء العشرات إلى المدينة، فأخذ في تجهيز حاله"[3].

وقد بذل المماليك جهداً عظيماً في عمران المدينة المنورة بالأمن الداخلي، والقضاء على مظاهر التسيب والعنف والطمع من قبل الأمراء الاثني عشرية وعلى اعتداء بعض الأعراب عليها، وعلى أهلها، واستخدامهم في الصراع بين أمرائها الاثني عشرية.

---

(1) راجع على سبيل المثال المقريزي: **السلوك**، ج٢، قسم ٢، ص ص٣٢٣ و ٣٥٦ و ٣٩٢، و ج٤، قسم ١، ص ٧٥، و**المقفى**، ج٢، ص ص١٣- ١٤.

(2) راجع على سبيل المثال المقريزي: **السلوك**، ج٤، قسم ٣، ص ص١١٧٨ و ١٢١٧؛ وراجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص ٢١٩ وذكر إرسال الأشرف برسباي لعسكر تحت قيادة بكتمر السعدي لتقوية أهل المدينة. وراجع خبراً آخر عن إرسال العسكر من القاهرة إلى المدينة المنورة بسبب فتن الإشرف الاثنى عشرية، ونهبهم لقناديل الذهب والفضة بالمسجد النبوي، وسرقتهم للأكفان، وغير ذلك؛ السخاوي: السابق، ج٣، ص ص١٧٦- ١٧٧ وراجع ص١٧٨ وتجب الإشارة إلى أن الأمير عطية بن منصور بن جماز (ت ٧٨٣ هـ) هو الوحيد من الأشراف الذي سلم من نهب المدينة الشريفة، وقد أثنى عليه السخاوي في "**التحفة اللطيفة**" ج٣، ص ص١٩٧ - ٢٠١.

(3) المقريزي: **السلوك**، ج٤، قسم ٢، ص٧٣٩.

وقاموا أيضاً بعدة مشروعات عمرانية دفاعية للمدينة الشريفة، منها: عمارة سور المدينة الشريفة[١]، الذي كان يتهدم بعضه بسبب فتن الأشراف الاثني عشرية والأعراب، وحدث بالفعل أن هؤلاء قاموا سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م بهدم مواضع من سور المدينة[٢]. ووقع شرف عمارة سور المدينة المشرفة على سلاطين المماليك.

يقول السمهودي، "ولم يزل الملوك يهتمون بعمارة سور المدينة، ويصلحون ما قر هي منه"[٣].

ومن بين مرات تجديد هذا السور، ما حدث من تجديد له سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م في أيام الملك الصالح صالح (٧٥٢- ٧٥٥هـ/ ١٣٥١- ١٣٥٤م) أحد أولاد الناصر محمد بن قلاوون[٤]. وما حدث من تجديد له أيضاً سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م على يد الأمير شاهين، شجاع الدين الجمالي[٥].

وقد أنشيء في عصر المماليك خندق حول هذا السور، في إمارة سعد بن ثابت على المدينة الشريفة (٧٥٠- ٧٥١هـ/ ١٣٤٩- ١٣٥٠م) وذلك في سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م، ومات ولم يكمله فأكمله ابن عمه فضل بن قاسم ابن جماز المستقر بعده "وكان في دولته من أحسن العمال سيرة، شجاعاً وافر الحشمه، ناصراً للسنة، قامعاً للبدعة، متخلقاً بذلك مستجلباً له رضي السلطنة"[٦].

---

(١) عن بناء هذا السور، والعناية به قبل عصر المماليك راجع الفاسي: **العقد الثمين**، ج٢، ص٢١٣؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص٢١٥ و ص ٢٦٩- ٢٧٢؛ والبصروي: **تحفة الأنام**، ص٢٣٩. وفيها أن= =هذا السور بنى سنة ٣٦٠ هـ في أيام الخليفة الطائع لله بن المطيع، ثم جدده الوزير جمال الدين، وزير بنى زنكي سنة ٥٥٨ هـ، وحفظ هذا السور أهل المدينة وماشيتهم من اعتداء بعض الأعراب ونهبهم للمدينة.

(٢) المقريزي: **السلوك**، ج٤، قسم ٢، ص٧٢٨.

(٣) السمهودي: السابق، ج٢، ص٢٧٣.

(٤) السمهودي: السابق، ج٢، ص٢٧٣.

(٥) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٤٣٨.

(٦) السخاوي: السابق، ج١، ص٣٨٥، وراجع حتى ص ٣٨٦، و ج٣، ص٣٩٦؛ والسمهودي: السابق، ج٢، ص٢٧٣.

ولدينا إشارات عديدة عن وجود سور المدينة المحيط بها لحمايتها في عصر سلاطين المماليك[١]، ويذكر أن السلطان قايتباي عندما حج سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م "ترجل عند باب سورها عن فرسه، ومشي على قدميه، وامتنع من دخول الحجرة الشريفة تأدباً"[٢].

وللمؤرخ السمهورى حديث عن أبواب سور المدينة الشريفة في عصره، حيث ذكر أن لسورها في زمنه أربعة أبواب غير باب حصن أمير المدينة المعروف بباب السر، وهو - كما وصفه- باب عظيم كله من الحديد.

أما الأبواب الأربعة فهي: الباب الذي غربي المدينة من جهة المصلى، ويعرف بدرب المصلى، وعليه باب متقن، والباب الذي في جهة المغرب أيضاً عند رحبة حصن أمير المدينة، ويعرف بالباب الصغير. والباب المعروف بالدرب الكبير وبالدرب الشامي، والباب المعروف في شرقي المدينة ويعرف بدرب الجمعة، وعليه باب متقن مغشي بصفائح الحديد، وهو يؤدي إلى موضع مقبرة البقيع في المدينة الشريفة. وذكر وجود باب آخر مسدود في زمنه كان يعرف بدرب السوارقية[٣].

ويذكر هنا أن حصن أمير المدينة كان قد رمم أيضاً مع سورها سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م على يد الأمير شجاع الدين الجمالي[٤].

ولدينا بعض إشارات في عصر المماليك عن وجود قلعة[٥] بالمدينة الشريفة، منها أن الأمير جوبان صاحب المدرسة الجوبانية بالمدينة والمتوفى سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م ببغداد حمل إلى مكة فالمدينة المنورة ووضع بقلعتها مع ابنه المتوفى ثم نزل بهما إلى المسجد الشريف، فصلى عليهما وحملا إلى البقيع فدفنا به بإذن

---

(١) راجع السمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص١٨٦، و ج٣، ص١٥ و ص ٥٧.

(٢) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج٣، ص٤١١؛ والخبر نفسه لدى السمهودي: السابق، ج٢، ص٢٣٠.

(٣) السمهودي: السابق، ج٢، ص ص٢٧٢- ٢٧٣.

(٤) السخاوي: السابق، ج١، ص٤٣٨.

(٥) راجع ابن الجزري: **تاريخ حوادث الزمان**، ج٢، ص٣٥٢؛ والسخاوي: السابق، ج٣، ص٧٠٣.

السلطان الناصر محمد بن قلاوون[١].

ويبدو أن حفظ جثته هو وابنه كان عن طريق الثلج، فلدينا إشارة عن الثلج المستخدم لحفظ الفواكه في عصر المماليك، وهى إشارة تتصل بالسلطان الناصر محمد، وبالمدينة المنورة أيضا، حيث إنه عندما حج سنة ٧٣٢هـ /١٣٣١م جهزت فاكهة الكمثري والعنب وغير ذلك من دمشق وحملت هذه الفاكهة على الجمال وخلفها الثلاجون بالثلج[٢].

وهذه القلعة التي وردت في بعض مصادرنا التاريخية من بناء أمير المدينة جماز بن شيحة بن هاشم (ت ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م) وكان قد بنى قلعة ليتحصن فيها " ويكشف منها ضواحي المدينة"[٣].

وهكذا فإن سلاطين المماليك عنوا بعمران المدينة المنورة بالأمن عن طريق سياستهم الرشيدة بالتعامل مع الأشراف الاثني عشرية، وعن طريق إرسال الجند لحفظ الأمن بالمدينة، ثم عن طريق العناية بسورها وحصنها.

تاسعًا: الأوقاف وأثرها في عمارة المدينة زمن سلاطين المماليك:

أوقف سلاطين المماليك وأمراؤهم، والعلماء، والتجار، وعامة المسلمين أوقافا عديدة على مصالح المدينة كلها، وكان لهذه الأوقاف دور في عمران المدينة المنورة على كافة المستويات، كما كان لهذه الأوقاف دور في الإنفاق على فقرائها، كذلك أوصي البعض بثلث تركته للمدينة النبوية الطاهرة.

وقد اختص الحرم النبوي الشريف بنصيب من هذا الوقف، من ذلك أنه كان للأمير بلال المغيثي (ت ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) أوقاف على الحرم النبوي، وأخرى

---

(١) ابن الجزري: السابق، ج٢، ص٣٥٢؛ وراجع عن حمله من بغداد إلى مكة فالمدينة السمهودي: السابق، ج٢، ص٢٢٤.

(٢) راجع ابن الجزري: السابق، ج٢، ص٥٣٣.

(٣) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٢٤٥.

على عتقائه وذراريهم[١].

وكان للتاجر محمد بن ليث العدى التاجر بمدينة الخليل (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م) وصية من ماله لعمارة حرم مكة، وحرم النبي ﷺ، وحرم القدس الشريف، وحرم الخليل إبراهيم عليه السلام، لكل مكان منها ثمانمائة دينار مصرية من تركته[٢]، وعرف عن أحد أماكن مصر وهو (ربع الحلزون) أنها كانت وقفاً على فكاك الأسري ببلاد الفرنج، وعلى مصالح الحرمين الشريفين، ولما بلي هذا الوقف سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م أوقف بديل له على الوقف السابق نفسه[٣]. وكان التاجر المصري أبو بكر بن على الخروبي كبير ورئيس التجار بمصر (ت ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م) قد أوصي بأشياء كثيرة في وجوه البر والقربات "منها للحرمين بألفي مثقالٍ ذهباً"[٤].

كذلك كانت هناك عدة أوقاف بمصر ينفق منها على إضاءة المسجد النبوي، وبعض هذه الأوقاف كانت تحت نظر قاضي الشافعية بمصر، وبعضها كانت تحت نظر الإمام بمصر[٥].

ولدينا خبر ذكره ابن حجر[٦] عن وجود جزيرة بالصعيد تعرف بـ (جزيرة قاو)[٧] كانت موقوفة على الحرمين الشريفين، وأن نزاعا دار عليها بين مستحقي الحرمين وبين أحد المستأجرين سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م وسنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م وحسم سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م بعقد مجلس بإذن السلطان الأشرف برسباي، حضره القضاه الأربعة ومسؤولو الوقف، وصاحب الدعوة إبراهيم السفاري، وحكم في نهاية

---

(١) المقريزي: **المقفي**، ج٢، ص٤٨٢.

(٢) الصفدي: **الوافي**، ج٤، ص٣٨٠.

(٣) المقريزي: **السلوك**، ج٤، قسم ٢، ص٦٦٥.

(٤) ابن حجر: **إنباء الغمر**، دار الكتب العلمية، ج٢، ص١٩٧.

(٥) السمهودي: السابق، ج٢، ص٢٠١.

(٦) ابن حجر: **إنباء الغمر**، دار الكتب العلمية، ج٨، ص ص٤٢٤- ٤٢٥.

(٧) ذكر ياقوت: **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٠١، أنها تقع على شاطيء النيل الشرقي تحت إخيم.

المجلس بإبقاء الوقف بيد مستحقي الحرمين الشريفين.

كذلك كانت بمصر أوقاف ينفق منها على خدام الحرم الشريف، والحجرة الزكية، منها وقف قريتى "نقادة" و "سندبيس" بالقليوبية منذ سلطنة الناصر محمد قلاوون، ثم أوقف عليهم ابنه الصالح (٧٤٣- ٧٤٦هـ/ ١٣٤٢- ١٣٤٥م) وقفاً آخر[١]. واستمر هذا الوقف بعد ذلك، وتحدث عنه السخاوي في زمنه، وعن المباشر له الناظر عليه في وقت المؤرخ السخاوي[٢].

وقد مر الحديث عن الوقف على كسوة الحجرة الشريفة[٣].

أما عن الوقف العام على أهل المدينة المنورة، وعلى مصالحهم فيها، فإن أشهر وقف يتصل بهذا الجانب هو وقف السلطان قايتباي لأهل المدينة حيث اشترى بمصر أماكن بستين ألف دينار "تكون أوقافاً يحمل ريعها إلى الحضرة الشريفة"[٤].

وفصل السخاوي[٥] هذا الوقف فذكر أنه لأهل السنة من أهل المدينة والواردين عليها من كبير وصغير، وغنى وفقير، ورضيع وفطيم وخادم ومخدوم "ما يكفيه من البر والدشيشه والخبز" وأشار إلى أن بعض أماكن الوقف كانت تقدم سنوياً حوالي سبعة آلاف وخمسمائة أردب من الحب لأهل المدينة المنورة.

وكان هذا الوقف معروفا منذ حكم الظاهر بيبرس، ولدي المقريزي[٦] إشارة إلى أوقاف المدينة النبوية بمصر والشام سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م. كما لدينا

---

(١) راجع السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٥؛ والمقريزي: **السلوك**، ج٢، قسم ٣، ص٦٣٣.

(٢) السخاوي: السابق، ج١، ص٣٥.

(٣) راجع على سبيل المثال السمهودي: السابق، ج٢، ص ص١٣٩- ١٤٠.

(٤) السمهودي: السابق، ج٢، ص ص٢٣٢- ٢٣٣، وراجع أيضا ج٢، ص١٨٢.

(٥) السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج٣، ص٤١١.

(٦) المقريزي: السلوك، ج١، قسم ٢، ص٥٦٠.

إشارة أخرى عن متولي نظر أوقاف خدام مدينة النبي ﷺ بمصر سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م وهو الأمير صفي الدين المعروف بجوهر الطواشي[١]. المتوفى في السنة السابقة نفسها، وإذا كانت المصادر لم تذكر جميع الأوقاف المرصودة لمدينة النبي ﷺ بمصر والشام خاصة، فإنها - بدون شك- كانت كثيرة بدليل الإشارات التي مر ذكرها، وما سيأتي من أخبار أخرى عن تدفق الأموال والحبوب من السلاطين والأمراء والعلماء والتجار وغيرهم على الفقراء والمجاورين بالمدينة الشريفة. بل إن هذه الأوقاف امتدت لتشمل أشراف المدينة المكرمة، وللصفدي خبر يتصل بجانب من هذا الوقف بمصر سنة ٦٦٣هـ /١٢٦٤م وهو "ربع فرح" واحترق هذا الوقف المخصص لأشراف المدينة في السنة السابقة ضمن ثلاثة وستين داراً كبيرة بالقاهرة، وكانت النيران قد اشتعلت في بداية الأمر من "حارة الباطلية" ثم امتدت إلى غيرها، فاحترق هذا الربع، وربعاً "آخر مطلاً" على النيل، واتهم بذلك بعض نصارى مصر[٢].

وكان للموسرين من أهل المدينة المنورة أوقافهم بها أيضاً على فقرائها ومجاوريها ومصالحها المختلفة، وأغلب هذا الوقف كان من النخل[٣]، ومنه وقف المقرئ عبدالعزيز بن زكنون (ت ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)[٤]. وكان وقف أهل المدينة أحياناً يتمثل في البيوت والدور، ومن ذلك الدار التي بناها بالمدينة عنبر الموصلي - أحد خدام المسجد النبوي- أمام دار العشرة ثم وقفها[٥]. ومنه الدار الحسنة التي بناها الشمس الجمداري أحد خدمة المسجد النبوي (ت ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م) بني دار وأوقفها "وكذا اشترى في آخر عمره نخلا جيدا وأوقفه إلى غير ذلك من

(١) المقريزي: المقفى ج٣، ص١١٢.

(٢) الصفدي: الوافي، ج١٠، ص٣٢٤ وراجع حتى ٣٢٥.

(٣) راجع على سبيل المثال: السخاوي: السابق، ج٣، ص٦١ و ص٢٦٧، وراجع ج١، ص٤٥٩.

(٤) السخاوي: السابق، ج٣، ص٢٥.

(٥) السخاوي: السابق، ج٣، ص٣٧٣.

الأوقاف"[١].

ومنه وقف الخادم بالمسجد النبوي دينار الذي أوقف أملاكاً ما بين نخيل ودور، وأعتق من الإماء والعبيد زهاء الثلاثين، وكفل جماعات من الأرامل والأيتام وعمهم بالإنعام، ورتب لهم الشراب والطعام والمسكن والملبس والمقام[٢].

والحق أن جل خدام الحرم الشريف كانت لهم أوقافهم بالمدينة على فقرائها ومجاوريها ومصالحها المتعددة[٣]. وشاركهم في هذا العمل النبيل بعض التجار[٤] وغيرهم.

ولم يقتصر الوقف على المال والعقار والزرع فحسب، وإنما شمل أيضاً الكتب الدينية، وغيرها بدليل أن المحدث العظيم والمؤرخ الكبير السخاوي عندما توفي سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) كان قد ترك وصية بخطه ذكر فيها أنه لا يملك إلا ثلاثين ديناراً، وأنه أوقف بعض كتبه بمكة، وبعضها بالمدينة، وجعل مقرهما في وصيته بمدرستي السلطان الأشرف قايتباي بمكة والمدينة، وجعل الناظر على وقف كتبه بالمدينة السيد نور الدين على السمهودي[٥] المؤرخ المشهور، والشيخ العلامة المعروف، وكانت الوصية قد تحققت وأوقفت كتب السخاوي كلها بمكة والمدينة.

وممن وقف كتباً بالمدينة الشريفة المعماري "بهادر" ،ووقف بها كتباً كالصحيحين[٦]، وأحمد بن يحيي بن الحسين الأنصاري الذي كتب نسخة بيده

---

(١) السخاوي: السابق، ج١، ص٤٥٩.

(٢) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص ص٣٣٢ و ٣٣٣.

(٣) راجع أيضاً السخاوي: السابق، ج١، ص ص٢٢٢ و ٣٥٢.

(٤) راجع على سبيل المثال: السخاوي: السابق، ج٣، ص٢٧٥.

(٥) عبدالعزيز بن النجم: **بلوغ القرى**، ج٢، ص ص١٠٠٤- ١٠٠٥.

(٦) السخاوي: السابق، ج١، ص٢٢٢ ويذكر هنا أيضاً أن سلاطين العثمانيين كان لهم اهتمامهم

من تفسير القرطبي، ووقفها بالمدينة سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م وجعل النظر لعبد السلام بن سعيد القيرواني[١]. والفقيه العالم إبراهيم بن رجب (ت ٧٥٥هـ/ ١٣٥٩م) نزيل المدينة الشريفة، ووقف كتباً نفيسة بالمسجد النبوي، وأخرى بالمدرسة الشهابية، ومنها كتب في الفقه، والأصول، والحديث، واللغة وغيرها[٢].

وممن أوقفوا كتباً بالمدينة أيضاً : محمد بن عمر الهندي الأصل المدني أوقف نسخة من "طبقات الحنفية" للشيخ عبد القادر سنة (٧٧٨ هـ/ ١٣٧٦م)[٣] والسلطان جلال الدين شاه شجاع بن المظفر سلطان بلاد فارس (ت ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م) وأوقف كتباً بالحرم النبوي[٤]. والعلامة محمد بن فرحون التونسي الأصل، الذي قدم المدينة وسكن المدرسة الشهابية منها ووقف بها نسخة من كتاب "الروضة" للإمام النووي[٥].

كذلك أرسل السلطان قايتباي من مصر سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤ م إلى مدرسته بالمدينة أحمالا من كتب العلوم الشرعية، موقوفة بالمدرسة الأشرفية، وأحمالاً كثيرة من الحب والدقيق والقدور النحاسية[٦].

ويبدو أن بعض الواقفين كانوا يوقفون مكتبات تضم الكثير من الكتب، ويجعلون هذه المكتبات (خزائن الكتب) في أماكن خاصة بها موقوفة هي الأخرى، فلقد كان لرشيد بن عبد الله السعيدي أحد الخدام بالمسجد النبوي (ت بعد ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) خزانة كتب جيدة، كان فيها كتب غريبة نادرة،

بإرسال المال للحرمين الشريفين؛ راجع الغزي: **الكواكب السائرة**، ج١، ص١٢٤؛ وابن العماد: **شذرات الذهب**، ج١٠، ص١٢٤.

(١) السخاوي: السابق، ج١، ص١٥٧

(٢) السخاوي: السابق، ج١، ص٧٠

(٣) السخاوي: السابق، ج٣، ص٦٩٥ وراجع خبرا آخر لدى السخاوي: ج٢، ص٢٣٣.

(٤) السخاوي: السابق، ج١، ص٤٣٧.

(٥) السخاوي: السابق، ج٣، ص٧٠٧.

(٦) السمهودي: **وفاء الوفا**، ج٢، ص١٨٣.

بعضها في العلوم التجريبية.وبعضها في العلوم العربية، وكان مولعاً بشراء الكتب ووقفها بخزانته التي كان المؤرخ السخاوي يعرفها. كما كان للخادم رشيد رباط ودور موقوفة بالمدينة أوقفها بعد أن تعب في عمارتها وإنشائها[(١)].

كذلك كان لأيوب المغربي مكان موقوف بالمدينة، وقف عليه بعض الكتب سنة ٨٤٧هـ /١٤٤٣م[(٢)]. وهذا يؤكد ما ذهبت إليه من وقف خزائن للكتب بالمدينة النبوية المطهرة، إضافة إلى وقف الكتب بمسجدها العامر الشريف، وبمدارسها العديدة.

وبالإضافة إلى ما سبق الحديث عنه من أوقاف على المدينة الشريفة، وعلى أهلها من الفقراء والمجاورين وغيرهم، فإن هناك ألواناً أخري من الاهتمام بفقرائها ومجاوريها مالياً، منها ما كان يرسله السلاطين سنوياً أو يومياً من الطعام أو المال، وما كان يقدم لأهلها عند زيارة السلاطين والأمراء لها.

وينسب إلى السلطان الظاهر بيبرس - على سبيل المثال- أنه كان يرسل إلى المدينة الشريفة في كل سنة قمحاً ودقيقاً يفرق على ضعفائها ومساكينها من أهلها، وعلى المجاورين بها[(٣)]. أما السلطان الظاهر برقوق، فإنه كان يبعث في بعض السنين قمحاً وفى بعضها ذهباً ليفرق بالحرمين الشريفين " بل عمر فيهما أماكن شريفة "[(٤)] كما كان الملك الظاهر جقمق قد قدر لأهل الحرمين "دشيشة للفقراء في كل يوم"[(٥)]. وذكر عن الأمير علاء الدين طيبرس الركني (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) أنه كان له بالمدينة النبوية آثار فاضلة[(٦)]. ويذكر أن هذا

---

(١) راجع السخاوي: السابق، ج١، ص٣٤٧.

(٢) السخاوي: السابق، ج١، ص٢١٠.

(٣) ابن شداد: **تاريخ الملك الظاهر**، ص٣٠٠.

(٤) السخاوي: السابق، ج١، ص٢١٢.

(٥) عمر بن فهد: **الدر الكمين**، ج١، ص٦٧٠ وراجع من ص٦٦٨.

(٦) الصفدي: **الوافي**، ج٩، ص٤٨٥؛ والمقريزي: **المقفي**، ج٤، ص ص١٢- ١٣.

الأمير كان ثرياً، معتنياً بتربية الخيول، وببيعها، وتحقيق أرباحٍ طائلة من هذا العمل، كما كان للأمير جركس بن عبدالله (ت ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م) بمصر صدقاته على الفقراء بمكة والمدينة[١].

وهناك وظيفة كانت معروفة في زمن المماليك هي وظيفة "مباشر أوقاف الصدقات بالمدينة" وممن تولاها: المحدث سليمان بن أحمد المغربي (ت ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) وكانت سيرته مشكورة، وقد سمع منه بالمدينة الشريفة شيخ المحدثين ابن حجر العسقلاني[٢].

وممن كان لهم وقف ووصية بأهل المدينة الأمير شيخ نائب الشام (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م) الذي وقف جميع أملاكه على ذريته، وعلى جهات بر منها: مائتا قميص تحمل في كل سنة إلى مكة والمدينة، مربوط على كل قميص عشرة دراهم فضة، تفرق في الفقراء، ومنها مبلغ ينفق على عشرة أيتام في كل من الحرمين وعلى مؤدبهم الذي يقرئهم القرآن الكريم[٣].

واشتهر بعض التجار بالاهتمام بفقراء المدينة المكرمة، منهم التاجر العطار بباب السلام بركوت بن عبدالله الحبشي (ت ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، وكان مشهوراً ببذل المال العظيم لأهل الحرمين، وتقديم البر لهم[٤]. والتاجر حسن بن محمد الطاهر نزيل مكة (ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) وقيل عنه: "بلغ الغاية في المعرفة بأمور التجارة، ويصل أهل الحرمين وكل عام ببر وصدقة من ذهب"[٥].

وكان موسم الحج وزيارة المدينة المطهرة ميدانا يتبارى فيه أهل الخير في

---

(١) ابن حجر: **إنباء الغمر**، بتحقيق: د. محمد أحمد الدهمان دمشق، ج١، ص٤٦٤.

(٢) ابن حجر: **إنباء الغمر**، دار الكتب العلمية، ج٤، ص١٦٤؛ وابن العماد: **شذرات الذهب**، ج٩، ص٣١.

(٣) راجع المقريزي: **السلوك**، ج٣، قسم ٣، ص١١٥٩؛ وابن إياس: **بدائع الزهور**، ج١، قسم ٢، ص٧١٨.

(٤) عمر بن فهد: **الدر الكمين**، ج١، ص ٦٥٥ - ٦٥٦ وراجع من ص ٦٥٤.

(٥) عمر بن فهد: السابق، ج١، ص٦٩٥.

إسعاد فقراء المدينة الشريفة. وجرت العادة أن يجهز مال من حاضرة دولة سلاطين المماليك، القاهرة مع الحاج إلى مكة والمدينة، تحت إشراف قاضي القضاة[١]. كما كان سلاطين المماليك يفرقون المال في فقراء مكة والمدينة، ومن ذلك ما قام به السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي حج سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م وفرق على فقراء المدينة عشرين ألف دينار كما فعل في مكة[٢]. ومنه تفريق السلطان قايتباي بالمدينة الشريفة أكثر من ستة آلاف دينار عندها زارها في رحلته للحج سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٩م وتفريقه بمكة أكثر من هذا المبلغ[٣].

ومنه إعطاء الأمير بكتمر الجوكندار (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) المجاورين بالحرم في زيارته له الذهب والقمصان والقمح[٤]، وتقديم الأمير عنبر الطواشي خيار الملابس وأحسنها للخدام المقيمين بالمدينة[٥]. ومنه مواساة التاجر إبراهيم بن محمد بن مصلح (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) لأغنياء وفقراء المدينة، وتقديم المال لهم[٦] في أثناء زيارته للمدينة الشريفة.

وهكذا عمرت المدينة المنورة بالكتب، والمدارس، والربط، والسقايا، وغير ذلك من مظاهر العمران، وكان للوقف دور في هذه العمارة، كما كان له دور في الإنفاق على فقرائها ومجاوريها، وفي تلبية احتياجاتهم المعيشية، ومتطلباتهم الدنيوية.

---

(١) المقريزي: **السلوك**، ج٤، قسم ١، ص١٤٨.
(٢) ابن إياس: **بدائع الزهور**، ج١، قسم ١، ص٤٥٠.
(٣) السمهودي: السابق، ج٢، ص٢٣٢.
(٤) **الوافي**: الصفدي: ج١٠، ص١٩٩.
(٥) السخاوي: السابق، ج٣، ص٢٧٢.
(٦) راجع عمر بن فهد: **الدر الكمين**، ج١، ص٦٢١.

الخاتمة

تشرف معظم سلاطين المماليك - تقريباً- بعمل بالمدينة المباركة يفتخرون به، ويعتزون بآثاره الطيبة على المدينة المطهرة، وبعض هؤلاء السلاطين زاد في الحرم النبوي زيادات، وبعضهم أسهم في إعادة بناء بعض أجزاء الحرم الطاهر، وبعضهم شارك في تعمير المدينة المشرفة تعميراً بالناحية التعليمية أو الصحية أو الأمنية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو غير ذلك، وقد زاد عمران المدينة المعظمة في أيامهم من الجهة الغربية زيادة ملحوظة، وزاد الإقبال على سكنى المدينة المنورة في عهدهم، إذ غبط ساكنو المدينة الشريفة لما يتمتعون به من العافية والأمن والسلامة والرخاء، وقبل ذلك كله لما يحظون به من جوار كريم طيب مبارك.

وأبرز سلاطين المماليك أثراً بالمدينة الكريمة الأشرف قايتباي الذي شرف بالقيام بأعمال عديدة بالمدينة المكرمة تناولت مسجدها المعظم أو اختصت بجوانب عمرانية أخري بالمدينة الطيبة حتى قيل له "أما تترك لمن بعدك شيئاً يذكر به؟".

وأبرز البلاد التي أسهمت في عمران المدينة المؤمنة مصر التي أوقفت بعض قراها على الحرم الآمن وعلى المدينة الآمنة، والتي شارك بناؤوها ومرخموها وعمالها في أعمال العمران بالحرم الطاهر أو بالمدينة الطاهرة، بل كان عالماها : السخاوي والسمهودي شاهدي عيان على ما تم من عمران بالمدينة النبوية، وشاركا في بعض الأحداث المتصلة بها في عصر المماليك، ودونا ذلك بكل دقة وأمانة في كتابيهما المختصين بالمدينة المختارة

ولأن المدينة الجليلة لا تختص بفئة من الناس دون غيرهم، ولا طائفة من المسلمين دون سواهم، فإن كل طوائف المسلمين في كل مكان حرصت على المشاركة في عمران المدينة المبجلة بما تستطيع عمله، وتقدر عليه، ومن ثم كان للأمراء والعلماء والعامة مجهوداتهم الطيبة في عمران المدينة الزكية على ساكنها أفضل السلام، وأعظم الصلوات.

قائمة المراجع

- ابن إياس، محمد بن أحمد، (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفي. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البصروى، شمس الدين أحمد محمد، (ت ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م)، **تحفة الأنام في فضائل الشام**، تحقيق: عبدالعزيز فياض. ط أولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار البشائر، دمشق.
- ابن بطوطة، محمد بن محمد، (ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، **رحلة ابن بطوطة**، دار الكتب العلمية، بيروت، شرح طلال حرب.
- ابن الجزري، محمد بن إبراهيم، (ت ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)، **تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه**، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، المكتبة العصرية، صيداً، بيروت.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن على، (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، طبعة دار الكتب العلمية، وطبعة أخرى بتحقيق أستاذي د. حسن حبشي، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، وطبعة ثالثة، ج١، بتحقيق: الأستاذ محمد أحمد دهمان، دمشق.
- ابن الحمصي، أحمد بن محمد، (ت ٩٣٤هـ/ ١٥٧٢م)، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- زين الدين الحلبي، عمر بن أحمد، (ت ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م)، **القبس الحاوى لغرر ضوء السخاوي**، تحقيق: حسن إسماعيل وخلدون حسن، دار صادر. بيروت.
- السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، (ت ٩٠٢هـ/ ١٣٦٩م)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، تحقيق: د بشار عواد وعصام

الحرستاني وأحمد الحظيمي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م.

- **التحفة اللطيفة**، في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان وج٢ و ج٣ تحقيق: الأستاذ محمد حامد الفقي ونشر أسعد طرابزرني، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

- السمهودي، نور الدين على بن أحمد، (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م)، **وفاء الوفا**، بأخبار دار المصطفي، دار الكتب العلمية، بيروت باعتناء خالد عبدالعني، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م)، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العلمية.

- أبو شامة، عبدالرحمن بن إسماعيل، (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، **الذيل على الروضتين**، دار الجيل. بيروت

- ابن الشحنة، محمد بن محمد، (ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، **روض المناظر في علم الأوائل والأواخر**، تحقيق: سيد مهني دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- ابن شداد، عز الدين محمد بن على، (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، **تاريخ الملك الظاهر**، تحقيق: أحمد حطيط، نشر فرانز شتاير، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل، (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق مجموعة من المحققين.

- **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق: د. على أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- ابن طولون، محمد بن على، (ت ٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦م)، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- ابن عبدالظاهر، (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق: د. عبدالعزيز الخويطر، الرياض.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبدالحي، (ت ١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبدالقادر الرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٩٢م.
- العيني، بدر الدين محمود، (ت ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١م)، **عقد الجمان في تاريخ الزمان**، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ)، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- الفاسي، محمد بن أحمد، (ت ٨٣٢ هـ /١٤٢٨م)، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: فؤاد سيد والأستاذ محمد حامد الفقي ودمحمود الطناحي، مطبعة السنة المحمدية.
- ابن فهد، عمر بن فهد، النجم، (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، ج٤، تحقيق: د. عبدالكريم باز، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.
- **الدر الكمين بذيل العقد الثمين**، تحقيق: عبدالملك دهيش، مكتبة الأسدى بمكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م.
- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل، (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٦م)، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**، تحقيق: مهدى النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- القلقشندي، أحمد بن على، (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م.
- ابن كثير ، إسماعيل بن كثير، (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**،

مكتبة المعارف، بيروت.

- المقريزي، أحمد بن على، (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: د. محمد زيادة و د. سعيد عاشور، دار الكتب المصرية.

المقفي، تحقيق: الأستاذ محمد اليعلاوي، دار الغرب. بيروت.

درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، دراسة وتحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- ابن النجم، عبدالعزيز بن النجم بن فهد، (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، **بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: صلاح الدين خليل وآخرون، دار القاهرة بمصر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

- ياقوت، ياقوت بن عبدالله الحموي، (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان.